فِقهُ التَّخطِيطِ المُستَقبَلِي

فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ



فقه

التخطيط المستقبلي

في السنة النبوية

تأليف

الدكتور/ محمد البنعيادي

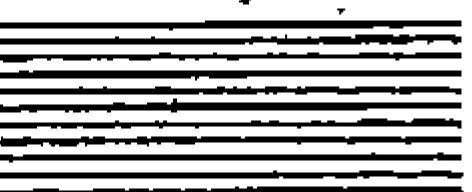
دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ / ٢٠١١

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشؤون الفنية

البنعيادي ، محمد .
فقه التخطيط المستقبلي في السنة النبوية / تأليف محمد البنعيادي . - ط ١. - القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ٢٠١١م .
١٤٤ ص ؛ ١٧ سم .
تدمك ٤ ٣١ ٥٠٥٩ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - الإسلام والتخطيط .
٢ - السنة - أفعال الرسول .
أ - العنوان .
٢١٤,٣٥٢٩٦



تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠١م هي عمر الجائزة تتويجا لعقد ثلث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية
الإدارة : القاهرة : ٤٠ شارع أحمد أبو العلا - المتفرع من شارع نور الدين بهجت - الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد - مدينة نصر
هاتف : ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +)
فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)
فاكس : ٢٢٦٣٩٨٦١ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)
بريديا : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩
البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

بسم الله الرحمن الرحيم

فِهْرِسُ الْمُحتَوَيَاتِ

* * *
* *
*

تَقـدِيم

د. محمد بن عبد الوهاب أبياط

بسم اللّه الرحمن الرحيم، وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فقد قرأت كتاب الأخ الكريم الدكتور محمد البنعيادي: « فقه التخطيط المستقبلي في السنة النبوية ».

قرأته قراءةَ راغبٍ في استكشاف ما تمكنه قدرته المحدودة من مجاهل الدراسات المستقبلية.

قرأته قراءةَ حَذِرٍ، لغربتي عن الموضوع، وخوفًا من سوء الفهم وفساد التصور.

لكني لما وجدت الكاتب - وفقه اللّه - أخذ بزمام الاتجاه، من منابته الغربية الغريبة - بشكلياتها ومنهجها وبعض مضامينها - عن منابت التراث الإسلامي وفكره المتميز بالانطلاق من عقيدة

التوحيد إلى المقاصد الشرعية، عبر وسائل يحمدها الميزان الشرعي، وسلك بذلك في لطف وهدوء، وأدب وسماحة، حتى أفضى بالاتجاه المستقبلي إلى رحاب الكتاب والسنة والسيرة النبوية - وهذا هو الإبداع المنهجي في نظري المتواضع - وجدتني أزعم الفهم، وأقرأ قراءة متتبع لفكر الكاتب، وملاحظ للزوايا التي يسلط عليها أضواء الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والسيرة النبوية الكريمة.

وإنها لالتفاتة إيمانية ذكية، معززة بالأدلة النقلية، والبراهين العقلية، والآراء العلمية، وموجهة بروح دعوية تحمل هَمَّ الأوضاع المتردية التي تتقلب فيها الأمة المسلمة، وتدل على السبيل الهادي، من خلال وعود الكتاب والسنة والسيرة النبوية التي لا تتخلف، وتحث الهمم السليمة، وتحفز الإرادات غير المهيئة، وتضع لبنات قوية لتخطيط مستقبلي علمي منهجي، مستخلص من الوحي، ومصفى

من أدران الوثنية، وشبهات الهوى، ومحرر من خيوط التبعية البغيضة.

أرجو أن يواصل الكاتب في مثل هذا المنحى، وأحث الشباب المسلم على قراءة مثل هذه البحوث التي تروي الأمل في التحرر والانعتاق والإقلاع السديد. و ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

والحمد لله رب العالمين

د. محمد بن عبد الوهاب أبياط

فاس في: ٢٤ محرم الحرام ١٤٣٢هـ
الموافق ٢٠١٠/١٢/٣٠م

مُقَـدِّمَة

إن الحديث عن التخطيط المستقبلي في السنة النبوية هو حديث عن فلسفة الإدارة الإسلامية المستشرِفة في عهد الرسول ﷺ باعتبارها أسلوبَ حياة ومنهجَ تطبيق وتأسٍّ - في كل مجالات الحياة، بما في ذلك الجانب الإداري التخطيطي الذي يكون العنصر البشري فيه حاضرًا بقوة إلى جانب المعية والتوفيق الإلهيين - وباعتبار التجربة النبوية المعصومة والمسدَّدة بالوحي نموذجًا حيًّا لتلك الإدارة الإسلامية الراشدة في التخطيط والتنظيم، في الفكر والممارسة، وفي القول والعمل، تجربة بلورت فقهًا يرصد المستقبل المنظور انطلاقًا من معطيات الواقع المعيش: السياسية والاجتماعية والثقافية... لتأسيس (غدٍ) على أسس علمية مسدَّدة بالوحي.

وإن كان هذا الموضوع قد عولج من قَبلُ [١]، إلا أن ذلك كان في حدود ضيقة لم تعكس حقيقة الثراء الذي تزخر به السيرة العطرة في مجال التخطيط والاستشراف والاستبصار، ولم يستجب لضرورات الواقع المعيش الذي يحتاج الاستمدادَ الواعيَ الراشدَ من سيرة الحبيب ﷺ.

ولأن الواقع الإسلامي اليوم متخلف - في عمومه - عن فقه وصناعة التخطيط المستقبلي إذا ما قورن بما هو منصوص عليه في القرآن والسنة من ضرورة التخطيط والاستشراف والاعتبار بالسنن، ولأنه متخلف كذلك عن التجربة الغربية الحديثة والمعاصرة - فقد ارتأيت الإسهام في إثارة الموضوع واخترت له العنوان التالي:

فقه التخطيط المستقبلي في السنة النبوية

---

(١) انظر مثلًا: المنهج الحركي للسيرة النبوية لمنير محمد الغضبان (كانت طبعته الأولى سنة ١٩٨٤م).

الفَصْلُ الأَوَّلُ

مداخل ومقاربات مفهومية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:

مقاربة لمفهوم التخطيط وعناصره ومراحله

المبحث الثاني:

في مفهومي السنة والسيرة

المبحث الثالث:

نحو قراءة رسالية للسيرة والسنة

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

مقاربة لمفهوم التخطيط وعناصره ومراحله

التخطيط منهج الإنسان في العمل، يستهدف اتخاذ إجراءات في الحاضر ليجني ثمارها في المستقبل، ويراعي مجموعة من التدابير المعتمدة والموجهة بالقرارات والإجراءات العلمية لاستشراف المستقبل، وتحقيق أهدافه من خلال الاختيار الراشد بين البدائل والنماذج، ويقتضي التفكير والتدبير والتأمل العلمي في (النوازل) ثم التبصُّر قبل اتخاذ القرار.

إذن، فالتخطيط من منظور منهجي شامل - علمي وعملي وعقلاني - هو العملية التي تهدف إلى استغلال جميع الموارد المالية والطبيعية والبشرية والفنية المتاحة إلى أقصى حدٍّ ممكن، لإحداث التغيير المنشود في المستقبل المأمول، على المستوى الكمي

والكيفي، لتلبية الاحتياجات المستقبلية خلال فترة زمنية معينة، ورسمِ الاستراتيجيات والسيناريوهات الراجحة والمرجوحة من خلال دراسة وتحليل المصادر المتاحة والمحتملة، على أسس علمية تقرأ الوضع الراهن وتستقرئ الماضي [١] وتستقصي المتغيرات المستقبلية المتوقعة، ووضع الافتراضات والبدائل والتنبؤات المحتملة، لذلك يعتبر التخطيط أول عنصر من عناصر الإدارة الناجحة، وهو الأساس والمبدأ الذي تقوم عليه الاستراتيجيات [٢].

---

(١) قد يكون الماضي مهمًا لكي تعي الهوية تاريخها وتتعرف على ذاتها، كخطوة أساسية على طريق التعرف على إمكاناتها وقدراتها ورصيدها الوجودي والمسارات الخاصة بتطورها وارتكاسها، لكن هوية الأمة ليست هي ما تعرفه عن ذاتها، بل هي أيضًا ما تتمنى أن تصير إليه. فالاستغراق في الماضي إرساف للأمة بالأصفاد وإلغاء للحاضر وإمحاء للمستقبل. الهوية من منظور إسلامي: مصطفى الحاج علي، مجلة المنطلق (ع ٩٩)، (١٤٣١هـ)، (ص ٢٧).

(٢) انظر: تعميق الفهم في الفكر الاستراتيجي: محمد بريش، إسلامية المعرفة، السنة الثالثة (ع ٩)، (١٩٩٧م). مجلة تصدر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

وعليه، فإن الانطلاق الحقيقي نحو النهوض يبدأ بالتخطيط للنظم والمعاملات التي تحدد رؤية واضحة للمستقبل، ومن ثم أهمية ترك حرية اختيار الطريق وابتكار الحلول داخل الواقع، وذلك مع احترام الكرامة والقيم الثقافية والاجتماعية [١] للمجتمع المحتضن للحركة البشرية المستشرِفة.

ومن خلال ما سبق يظهر:

١ – **أن عناصر التخطيط هي:** الاستيعاب الواعي للماضي، والاستقراء الشامل للواقع، والاستشراف المحكم للمستقبل؛ أي الحلم وإرادة الفعل من خلال النظر في الحاضر والماضي وكيفية تفاعل العوامل التي تحدد في تحليل الواقع القائم بعد التعرف على جذوره التاريخية، ورسم الخطوط البيانية ضمن مجرى الحركة التاريخية، وتوظيف طرق الرؤية الأربع: الحاسة والتخيل والتفكر والعلم، بالإضافة

---

(١) من أجل استعمال ملائم للدراسات المستقبلية: المهدي المنجرة، مجلة عالم الفكر، مجلد (١٨)، (ع ١٤)، (ص ٣).

إلى العنصر الآخر والأهم « الفعل » منطلقًا وإرادة وقدرة، فهذا النظر في الحاضر والماضي يُمَكِّن من تحديد الطور الذي يمر به الاجتماع الإنساني، أهو طور انبعاث أم طور انحطاط أم طور سكون [1]؟

٢ – وأن التخطيط سلسلة من القرارات التي تتعلق بالمستقبل، ويشكل مرحلةَ التفكير التي تسبق تنفيذ أي عمل وافتراضاتٍ عما سيكون عليه الحال في المستقبل، ثم وضع خطة تبين الأهدافَ المطلوب تحقيقُها وكيفيةَ استخدام هذه العناصر، وخطةَ السير، والمراحلَ المختلفةَ الواجب المرورُ بها، والوقتَ اللازم لتنفيذ هذه الأعمال، وهذه كلها مفاهيم تطورت عبر المسيرة والتجربة الإنسانيتين، وخاصة مع تبلور النظر إلى المستقبل انطلاقًا من أرضيات تعتمد الدراسة والبحث البانيين لـ (النظرية العلمية المستقبلية). **ومن ضوابط ذلك:**

---

(١) الدراسات المستقبلية وخصائص المنهج الإسلامي: أحمد صدقي الدجاني، مجلة المستقبلية (ع ٢)، (١٤٢٢هـ)، (ص ٣٧).

– استعمال معطيات الحاضر والماضي لاستشراف واعٍ للمستقبل والتنبؤ باتجاهاته المحتملة.

– اتباع الأسلوب العلمي الذي يستخدم معطيات اقتصادية وسياسية واجتماعية... وإحصائية.

– الاختيار بين البدائل بما يسمح بتحاشي التناقض بين الأهداف والوسائل.

– مراعاة الواقعية والشمول والتنسيق والمرونة والاستمرارية (بين الأهداف والوسائل).

– انعكاس الجهد المبذول من خلال برنامج محدد المعالم والآجال حتى تكتمل دائرة العملية التخطيطية المستقبلية.

ومن شأن هذه الضوابط تأهيل الإنسان إلى « التنبؤ » باعتباره عنصرًا أساسيًا من عناصر التخطيط الراشد، وفي الآن نفسه مرحلةً مهمةً من مراحله؛ حيث إن التخطيط مرتبط بالمستقبل، ويراعي العديد من المتغيرات المؤثرة على الخطة / الاستراتيجية، ومن ذلك البيئة التي ستحتضن

المشروع (البيئة الدينية والثقافية والسياسية والاجتماعية وحتى الطبيعية). فإذا تضافرت هذه العناصر، وأخذت جميع المتغيرات المتعلقة بها بعين الاعتبار، حُقَّ لأصحاب المشروع مباشرة التنفيذ بعد التوكل على اللّٰه واستنفاد البعد البشري في العملية التخطيطية المستشرِفة، وفق رؤية كونية للأحداث تبين أن الحضارة تسير كما تسير الشمس، تدور حول الأرض مشرقة في أفق أمة، ثم تتحول إلى أفق أمة أخرى... تلك هي الأقدار لا تلبث أن تقود الحضارة إلى حيث قدر اللّٰه لها السير من دور إلى دور ومن فجر إلى فجر [١] انسجامًا وتناغمًا مع السنن الإلهية في الأنفس والآفاق.

* * *
* *
*

---

(١) شروط النهضة: مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر بيروت، (ص ٥٢).

المَبْحَثُ الثَّانِي

في مفهومي السنة والسيرة

السنة النبوية - كما هو معروف - ما ثبت عنه ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، ولها تعريفات أخرى ليس مجال التطويل فيها هنا، أما السيرة فهي ما كان ينزل من وحي على النبي ﷺ فيتحول إلى واقع؛ أي هي تفعيل وإنزال وتطبيق وإعمال ما كان ينزل عليه ﷺ من وحي على أرض الواقع، ثم إن الواقع يؤثر في الواقع، والأمور تسير إلى أن تم تنزُّل الوحي وتمَّت السيرة بتمام تنزُّلِه.

إنها عبارة عن ترجمة عملية للوحي المنزل أقساطًا، وعكْسِ ذلك على الأرض سلوكًا ضابطًا لتصرفات المسلمين وموجهًا لحركتهم الأولى نحو البناء الحضاري الإسلامي المنشود؛ أي أن السنة التي هي صدًى وبيانٌ للكيفية التي نُزِّل بها الوحي على الواقع هي التي نسميها نحن بالسيرة. فلو

نظرنا إلى القرآن الكريم وهو يتنزّل بحسب النزول قطعةً قطعة، جُزْءًا جُزْءًا، لرأينا سُنَّة مرْبُوطة بالزمان والمكان هي السيرة التي يمكن أن تستخرج من السنة الأخرى التي صُنِّفَتْ حسبَ أبواب الفقه في كتب الصحاح وغيرها.

وعليه، فإن السيرة النبوية مجال خصب لـ (فقه الحركة الاجتماعية الإسلامية) في عهد الرسول ﷺ وصحابته الكرام، ومن ذلك (فقه الحركة النبوية المستقبلية) وهي تتطلع لنشر رسالة التوحيد بناء على (فقه السنن الإلهية) و (فقه واقع) الجزيرة العربية وما حولها من أقوام وأديان وثقافات و... وهذا ما يتطلب إعادة قراءة السنة والسيرة للاقتداء ثم الاهتداء بهما نحو مستقبل إسلامي يعاني حاضره من (الوهن الحضاري) والركون إلى السبل الوضعية المتقطعة والمنقطعة عن المرجعية المعصومة، في غفلة شبه تامة عما يمكن أن تبثه من موجِّهات ومبشرات علمية وعملية في حياتنا المستقبلية.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ

نحو قراءة رسالية [١] للسيرة والسنة

إن حياة الرسول ﷺ لم تترك لنا فقط أحاديث وسننًا، بيانًا وعلمًا وهديًا، ولكن خلفت لنا تنزيلَ القرآن على أرض الواقع، وتحويله إلى ثقافة اجتماعية أخلاقية وروحية، وسلوكية، وعمرانية تغذي شبكة العلاقات الاجتماعية بما يقوي نسيجها ويزيد مَنعَتها ومناعتها.

ثم إن السنة في حياة الصحابة الكرام، والتابعين الأبرار، وتابعي التابعين الأخيار، تركت لنا تراثًا معرفيًا سنيًا، وحديثيًا، ظهرت من خلاله عبقرية العقل المسلم الاجتهادية، والمنهجية، والعقلية، (ثم) دخلت أمتنا العزيزة في مراحل الضعف والتخلف، ليس عن ركب الحضارة كما يقولون، ولكن عن

(١) إن هذه القراءات، مهما بلغت من الدقة، لا يمكن أن تكتسب صفة المعيارية، ولا أن تصبح بديلًا عن السيرة.

مستوى القرآن والسنة، فحدث لها ما هو معلوم من واقعنا بالضرورة [١].

ولذلك من المطلوب - اليوم - المبادرة إلى قراءات رسالية جادة لعطاء السيرة والسنة النبوية على أكثر من صعيد، للاقتداء والتأسي، وتقديم رؤية منهجية لإعادة صياغة بناء الأمة، واصطفاء الكفاءات للمهمات التي تتناسب معها، وتسديد مسيرة الأمة، وبيان سبل التخطيط لتحقيق مشاريع النهوض المستقبلي.

ولا يتم ذلك إلا بـــ:

- تجديد العهد مع (قراءة) الرسول ﷺ القاصدة إلى وضع أسس البناء الحضاري (العالمي).

- رصد القراءة البشرية (العلمية) التي صاغت البناء النظري للنموذج النبوي، وتدوينه، وتسجيله في كتب السنة، والحديث، والفقه،

---

(١) المنهج النبوي والتغيير الحضاري: عبد العزيز برغوث، كتاب الأمة (٤٣)، (ص ٦٥، ٦٦).

والأصول، والعقيدة، والتاريخ، والجغرافيا، والسياسة الشرعية... إلخ، مبرزة - بذلك - التفاعل الفريد بين العقل الإسلامي و (قراءة الرسول ﷺ). وهذا معناه أن غياب القراءة الأولى، يعني أن أي بناء حضاري لا يقوم عليها فهو رد؛ لأن القراءة النبوية للوحي، وتنزيله على الواقع حجة على كل تطور عقلي ومنهجي وصلته - وستصله - البشرية في مستقبل أيامها. أي أن كل تطلع حضاري عليه المثول بين يدي معايير وموازين ومقاييس الوحي الإلهي، الذي تمثل السنة النبوية المطهرة إطاره العملي المعصوم.

فالقراءة المتجددة (المطلوبة اليوم) لها حظ الانطلاق من خبرة الجيل النبوي الأول، وتجربة الجيل الإسلامي الثاني الذي نشط عصر التدوين ثم العصور التي تلته في مواجهة الحملات الشرسة ضد السنة النبوية، لهذا يمكن اعتبارها مصدرًا لبناء حضاري جديد منطلِق من فقهٍ جيدٍ للواقع، يُظهِر

للناس القدرةَ المذهلة للمنهج النبوي على تركيب حضارة جديدة انطلاقًا من بناء مستقبلي للإنسان والثقافة، والمجتمع، على أساس تخطيطي يستلهم التجربة النبوية الأولى باعتبارها ساحة تاريخية تطبيقية خصبة لدراسة السنن الإلهية الحاكمة للجهد البشري مثل (سنة السير في الأرض) و (منهج النظر) اللذين يسعيان إلى كشف سنن الهداية الربانية، وقوانين الفطرة الإلهية التي فطر عليها الناس.

فالمنهج النبوي ساحة للتعامل مع عالم الأسباب، وعالم سنن العبادة، والإعمار، والإنقاذ، والتعارف، التي ستوصل الناس إلى تحقيق غاياتهم الدنيوية المتمثلة في (الاستخلاف والمحافظة على الكون) [١]، بالإضافة إلى أن استمرار عطاء الهدي النبوي يعني تجريد السنة والسيرة النبوية من قيد الزمان والمكان، وتوليد رؤية

---

(١) المنهج النبوي والتغيير الحضاري (ص ٨٥).

من خلالهما، لمعالجة الواقع والإجابة عن أسئلته ومشكلاته... واسترجاع المقاصد الحقيقية والروح (الواقعية) التي عاش بها الرسول وصحابته... فهما - السنة والسيرة - من التاريخ والجغرافيا زمانًا ومكانًا، لكنهما من الحاضر عطاءًا ومصدرًا للتشريع، ومن المستقبل رؤية واستشرافًا... لذلك فأية دراسة للسيرة / السنة لا تتحقق بهذه الرؤية، ولا تنطلق من هذه المنطلقات، سوف لن تبلغ المقصد، ولن تحقق الهدف [١].

وقد يكون المطلوب اليوم - أكثر من أي وقت مضى، حيث تعاني الأمة ما تعاني على أكثر من صعيد - الاستفادة من السيرة، في مختلف المجالات الاستراتيجية المستقبلية: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية والتربوية والأمنية والثقافية، ووضع واقع الأمة في موقعه المناسب من مسيرة السيرة.

---

(١) في السيرة النبوية.. قراءة لجوانب الحذر والحماية: إبراهيم علي محمد أحمد، كتاب الأمة (٥٤)، (ص ٢٣)، بتصرف.

وليتم ذلك على هدى وبصيرة، لا بد من التنبيه إلى بعض القضايا، منها:

- **بشرية الرسول ﷺ** التي لا بد أن نعرض لها ونحن بصدد التقديم للحديث عن فقه التخطيط في السنة النبوية، لتتحقق شهادة الرسول ﷺ علينا؛ ذلك أن من الأمور المقررة شرعًا وعقلًا وواقعًا، أن الرسول ﷺ بشرٌ يُوحى إليه، من خلال قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله ﷺ: **« إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو مما أسمع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنما أقطع له به قطعة من النار »** [١].

- **العصمة في تبليغ الرسالة**، وهي ما يمتاز به ﷺ عن سائر البشر من الوحي. قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: (فما قاله ﷺ، إن كان خبرًا

---

(١) صحيح مسلم، باب الأقضية، حديث رقم (١٧١٣).

وجب تصديقه به، وإن كان تشريعًا إيجابًا أو تحريمًا أو إباحة، وجب اتباعُه فيه، فإن الآيات الدالة على نبوة الأنبياء دلت على **أنهم معصومون - عن الخطأ - فيما يخبرون به عن الله** ﷻ) [١].

بين البشرية والعصمة:

إن العصمة هي في حدود ما كان له علاقة مباشرة بمهمته (الرسولية / الرسالية) عليه الصلاة والسلام، من حيث إبلاغ الرسالة، وبيان أحكام الحلال والحرام. أما فيما يتعلق بأمور الدنيا من الحِرَف والصناعات والزراعات، وما له علاقة بالاجتهاد والظن، فإنما يرد إلى طبيعته البشرية وآرائه الدنيوية القابلة للخطأ والصواب [٢]، ولذلك وجدنا

(١) نقلًا عن قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، لجمال الدين القاسمي رحمه الله (ص ٦٢).

(٢) انظر في ذلك مسألة تأبير النخل: عن موسى بن طلحة عن أبيه قال: مررت مع رسول الله ﷺ بقوم على رؤوس النخل فقال: « ما يصنع هؤلاء؟ » فقالوا: يلقِّحونه يجعلون الذكر في الأنثى فيلْقَحُ، فقال رسول الله ﷺ: « ما أظن يغني =

الرسول ﷺ يستشير أصحابه في كثير من الأمور التي لهم فيها خبرة خاصة [1]، ومن ذلك البعدِ

= ذلك شيئًا »، قال فأُخبِرُوا بذلك فتركوه فأُخبِر رسول الله ﷺ بذلك فقال: « إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظنًّا فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئًا فخذوا به فإني لن أكذب على الله ﷻ »، (صحيح مسلم، حديث رقم: ٤٣٥٦). وهذا يعني أن سيد البشر ﷺ قد يخطئ ويصيب في أمور الدنيا البشرية، أما في أمور الدين فهي أمور موحى بها إليه وهي توقيفية من الله ﷻ.

(١) انظر مثلًا: غزوة الخندق: وقعت أحداثها في شهر ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة، وكان المحرّك لها يهود بني النضير بعد إجبار المسلمين لهم على الخروج من المدينة عقابًا على خيانتهم وغدرهم، مما أثار في قلوبهم مشاعر الحقد والغيظ، فأخذوا يحيكون المؤامرات والدسائس للقضاء على المسلمين، وإنهاء سيطرتهم على المدينة. ووافق ذلك هوًى في نفوس أهل مكّة. وهكذا التقت مصالح الفريقين. وجاءت الأخبار إلى رسول الله ﷺ باقتراب الأحزاب من المدينة، فعقد اجتماعًا عاجلًا مع كبار المهاجرين والأنصار لمناقشة ما ينبغي فعله لصدّ العدوان، فاتفقت آراؤهم على ضرورة الخروج إلى تلك القوّات ومنعها من الوصول، لكنّ سلمان الفارسيّ ﷺ =

البشري النبوي التخطيطُ المستقبليُّ المسددُ بالوحي موضوع حديثنا.

وعليه، فإن المغالاة في أبعاد العصمة، وما يترتب على ذلك من الإطراء والتقديس، يمكن أن تُلغي معها الطبيعة البشرية للرسول عليه الصلاة والسلام، وترفعه إلى مرتبة الألوهية [(١)]، وأن هذه المغالاة في العصمة ستُخرج الرسول ﷺ من أن يكون محلًّا للتأسي والاقتداء للبشر، الذي

=كان له رأيٌ آخر، حيث أشار على النبي ﷺ بحفر خندقٍ كبير استلهامًا لتجربة فارس، فأُعجب النبي ﷺ بفكرته، وأمر بحفر الخندق في شمال المدينة؛ لأنّ بقيّة الجهات كانت محصّنةً بالبيوت. والشاهد عندنا هو إشراك النبي لصحابته في صنع (القرار العسكري)؛ لأنه قرار يرتبط بـ (الوجود المستقبلي) للدولة الناشئة من جهة؛ ولأن المسألة فيها نصيب وافر من الخبرة البشرية التي تسير جنبًا إلى جنب مع السنن الإلهية في التخطيط والتدبير.

(١) الأمر الذي يُناقض قوله ﷺ: « لا تُطْرُوني كما أَطْرَت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد اللّٰه ورسوله » (رواه البخاري. حديث رقم: ٢٢٢٦).

يخطئ ويصيب؛ إذ كيف يمكن لبشر أن يقتدي بمن لا يتصف بصفات البشر، ولا يعاني معاناة البشر، ولا يجري عليه ما يجري على البشر من الخطأ والصواب؟ **ولذلك ينبغي مراعاة الأمور التالية:**

- أن حركات التغيير والإصلاح ومشاريع النهوض والاقتداء، بكل أهدافها ووسائلها وآلياتها وأدواتها المعرفية، لا بد أن تخرج من رحم المجتمع نفسه، وتكون مستوعبة لمعادلة الأمة الاجتماعية، ومتمثلة لقيمها الدينية، مدركة لمشكلاتها ومعاناتها الواقعية، تفقه القيم الإسلامية، وتفهم العصر ومشكلاته، وتتعامل مع السنن الجارية على البشر، وتؤمن أن التغيير المنشود إنما يتحقق من خلال عزمات البشر واستطاعاتهم واجتهادهم وجهدهم.

- وأن أي مشروعات تحاول أن تُخرج الرسول ﷺ عن طبيعته البشرية وتغالي في حدود عصمته، سوف تخفق في الاقتداء، وفي تحقيق

أهدافها؛ لأنها تناقض الحقيقة، وتنافي منهج الرسول ﷺ وسيرته.

- وأن كل حركة إصلاح أو تغيير تعجز عن تقديم الحلول في ضوء السيرة، التي تمثل الفقه والتجسيد العملي أو التنزيل العملي لقيم الكتاب والسنة على الواقع - هي بعيدة عن الاقتداء، وعاجزة عن تمثل القيم الإسلامية، فالسيرة هي البيان النبوي العملي والضابط لكيفيات التعامل البشري بطبيعته ومحدوديته وظروفه، مع الوحي المعصوم والمطلق والصالح لكل زمان ومكان [١].

* * *
* *
*

---

(١) في السيرة النبوية.. قراءة لجوانب الحذر والحماية، (ص ١٨ - ٢٢)، بتصرف.

خاتمة الفصل

إن الواقع يتغير من حولنا، ووسائلنا في العمل والاقتداء وقراءة قيمنا في الكتاب والسنة والسيرة لا تتغير، ونواجه الحالات المتنوعة والمختلفة بوسائل واحدة، على عكس منهج السيرة النبوية التي اتخذت لكل مرحلة ما يناسبها من الوسائل.

إن تغيير هذا الواقع يتطلب استراتيجية إصلاح محكمةَ المضمون، واقعيةَ التحليل، عميقةَ التصور والاستنباط، تصاحبها دراسة استشرافية دقيقة وبعيدة المدى، وتطوير للبنيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية المشكِّلة للوعاء الذي سيفرغ فيه مضمون تلك الاستراتيجية المكونة للنسيج الذي ستنجز على بساطه برامجها وتحقق عليه أهدافها. فما من دراسة جادة أنجزت لصياغة استراتيجية سليمة للثقافة في مجتمع ما أو أمة ما إلا وكان مشروطًا لتنفيذها وتعميق أثرها وجود

مناخ مبلور ومحرك للأفكار والتصورات التي تتضمنها وتوصي بها تلك الاستراتيجية [١].

هذه قضية، وقضية أخرى لعل تحرير القول فيها أصبح ضروريًا، بعد أن تحوّل العقل المسلم المعاصر من التوكل إلى التواكل والإرجاء، والعجز عن التعامل مع الحياة، وتقويم مسيرتها... لقد خرجنا من الحياة، وافتقدنا القدرة على التعامل مع مشكلاتها في ضوء السيرة النبوية، وانتهينا إلى المقابر، سواء في ذلك من يعتبر الأموات سبيلًا لحل مشكلاته فيستغيث بهم، أو من يعتبر الأموات سببًا لمشكلته فيرى معركته معهم، أو من حاول ستر عجزه عن التأسي والاقتداء بالسيرة، وذلك بالخروج وإسقاط عجزه عليها واستدعاء (الآخر) ليكون نبراسًا له في إدارة الواقع وبناء المستقبل.

---

(١) التقدم العلمي رهين بنجاح استراتيجية العمل الثقافي: محمد بريش، مجلة الهدى المغربية، (ع ٣٢)، (١٩٩٥م)، (ص ٨).

وعليه، فلقد بات ضروريًّا الانطلاق لإعادة البناء الحضاري على قواعد الوحي، ومن ذلك استدعاء التجربة النبوية في (الصناعة المستقبلية) موضوع هذا البحث.

* * *
* *
*

الفَصْلُ الثَّانِي

في مفهوم الزمن وصناعة المستقبل
(رؤية حضارية)

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول:

لمحة عن حضور (صناعة المستقبل)
في الرؤية القرآنية والممارسة النبوية

المبحث الثاني:

في التصحيح القرآني والنبوي
لمفهوم التوكل والخوف من المستقبل

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

لمحة عن حضور (صناعة المستقبل) في الرؤية القرآنية والممارسة النبوية

إن الدراسات المستقبلية مرتبطة ارتباطًا كبيرًا جدًّا بمن لديه مشروع يريد أن ينجزه، فالذي لا مشروع له لا يمكن أن يستشرف أو يستبصر [١]، واهتمام الرسول ﷺ بالمستقبل شيء طبيعي باعتباره صاحب رسالة كونية تستفيد من الماضي [٢] باعتباره شيئًا وَلَّى ليس هناك من سبيل للتأثير فيه

---

(١) إن العناية بالمستقبل ليست أمرًا جديدًا، فقد حفلت اللغة العربية بلفظ يحمل هذا المعنى، كثيرًا ما استعمله الرسول ﷺ وهي كلمة « الاستبصار »، كان ﷺ قبل أن يبدأ عمله كل يوم يتصور الأشياء ويخطط ويستبصر، وبعد هذا الاستبصار يتوكل على الله، فالتوكل على الله يأتي بعد الاستبصار.

(٢) ولقد تحدث القرآن الكريم عن قصص الرسالات والأقوام السابقة وأوصى بالاعتبار بها، حتى إن علماء الأمة أبدعوا في الحديث والتأليف في (القصص القرآني).

إلا من خلال ما يمكن أن يستفاد منه للغد المنظور، وتستفيد (الدراسات المستقبلية) من الحاضر القائم الذي يحتاج إلى تغيير وتوجيه رساليين قصد بناء الغد الذي يحتاج إلى الاستفادة من الماضي والوعي بالحاضر [١]، لذلك نجد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨] فهذه الآيات واضحة جلية بالدعوة للعمل للغد والتخطيط له [٢].

---

(١) من حوار أجريته مع خبير المستقبليات محمد بريش، جريدة المحجة المغربية (ع ٢٠٠)، (٢٠٠٣م)، (ص١١).

(٢) قد يقال: إن الغد هنا أمارات الغد الأخروي، حين تكون النفس ماثلة أمام الله ﷻ: ﴿ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ ﴾ [آل عمران: ٣٠]، نعم لا خلاف في أن المراد هو الغد الأخروي، لكنه كنتيجة وحصيلة، لكن العمل لهذه الحصيلة متى يكون؟ هل يكون في اليوم الآخر؟ هذا الإعداد يكون في الغد الدنيوي المتاح، نعم أنت في الحصيلة والنتيجة والمآل ما تريده هو ذلك الغد أمام الله ﷻ، لكن هذا الغد يصاغ ويصنع ويعد له ويهيأ =

وفي الحديث النبوي الشيء نفسه، تجد الدعوة لصناعة الغد والاهتمام به. فانظر إلى الأحاديث التي أدرجها المحدِّثون فيما يسمى أحاديث الفتن فيما يقوله النبي ﷺ: « **يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها** »[1]، إن هذا

=ويبنى فيما هو متاح للغد الدنيوي، وهذه الكلمات ينبغي فهمها بدلالاتها الواسعة: ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ [الحشر: ١٨]، هذا البصر الحديد والنظر الثاقب يحتاج إلى معرفة دائرة المستطاع. ففي الفاتحة تجد ذاتك في مخاطبتك لله ﷻ يوميًا، ومرات متعددة، تطلب منه ﷻ أن يهديك الصراط المستقيم: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة: ٧] مستوعبًا للتاريخ، مستوعبًا للماضي، ماضٍ يعرف أن قرونًا قد ضلت وأن مزالق موجودة أدت بجماعات كثيرة إلى أن ضلت فأوصلتهم إلى ذلك الغد المنشود. ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ الذين لم يكلفوا أنفسهم عناء التوبة والرجوع إلى الحق. ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الذين لم يتوبوا. فالقرآن كله ينطق بلغة الغد؛ لأنه يُعِدُّك لكي تنجز غدك. فما من آية إلا وتنطق بذلك، وتهيئ المرء لكي يكون كذلك.

(١) يقول الرسول ﷺ – فيما يرويه الإمام أحمد بن حنبل في « المسند » – قال: حدثنا أبو النضر:، حدثنا المبارك، حدثنا مرزوق =

مشهد مستقبلي، ليس المراد منه فقط أن نُسوِّغ به صدق النبي ﷺ بأنه أتاه الله علمًا وفهمًا وإدراكًا لما سمح له من الغيب، بل حينما يقول النبي ﷺ: « **يوشك أن تداعى عليكم الأمم** »، يعني: إياكم أن تصلوا إلى مرحلة تتداعى فيها الأمم عليكم، لا تجلسوا منتظرين إلى أن يأتي ذلك، فالآيات كثيرة تدل على ذلك: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ

= أبو عبد الله الحمصي: أنبأنا أبو أسماء الرحبي، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها ». قال: قلنا: يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: « أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن ». قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: « حب الحياة وكراهية الموت ». الشيخ الألباني رحمه الله (السلسلة الصحيحة ٢ / حديث ٩٥٨). وروي الحديث بصيغ أخرى.

أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧]، و ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨]، هذه كلها آيات تدل دلالة قطعية على سنن ثابتة هي من حيث تجليها قطعية، لكن ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار أن الله ﷻ قد أرسى سننًا أخرى: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٤١]، ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١١١].

هذه السنن الثابتة حينما لا يستجيب الإنسان لشروطها، وحين لا يحرص على المعقبات التي تحفظه من أمر الله والواضحة في سورة الرعد، حينذاك ترتبك الرؤية المستقبلية البشرية؛ حيث إن كل متخوف من غد حينما يقرؤها يلاحظ أن صناعة الغد صناعة ربانية ولها سننها ينبغي للإنسان أن يعرفها ويستجيب لشروطها، وقد كان الرسول ﷺ خير فقيه

لها وخير مستجيب لها وخير سائر على هداها، حينما يقرأ: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد: ٨]، كل شيء يخضع لسنة اللَّه في الصنعة وفي التدبير وفي التقدير وفي الحركة؛ ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الرعد: ١٠]، لكن إذا قام بإبطال فعل هذه المعقبات بتخليه عن الاستجابة لشروط بقائها وثبوت فعلها، تزول تلك المعقبات، ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد: ١١].

فإذا تقاعست النفس عن أن تستجيب لشروط بقاء تلك المعقبات، يقع التغيير فعلًا وتزول، ويصبح الإنسان يخضع في قدر اللَّه لأمر آخر، فلا يمكن للإنسان أن ينجز شيئًا إلا بإذن للَّه ﷻ الذي قد بثَّ فيه وحسم، والغد بيده، ولكن كما هو مأثور عن

ابن القيم رحمه الله قوله: « نحن ندافع القدر بالقدر »، يعني أنت حينما تسعى لمستقبل ما وهو بقدر الله، ينبغي أن تسأل الله عز وجل أن يساعدك على اختيار أَخْيَرِه، فحينما نذكر حديث القصعة السابق الذكر، نستنتج أن كثرة ينعدم فيها أهل الإيمان لا تفيد، ستسري عليها السنن، وسيتداعى عليها الآخرون. فالمسلمون لم ينصروا بكثرة أبدًا: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥]، وكذلك الملأ من بني إسرائيل الذين خضعوا للامتحانات، وفي الامتحان الأخير عجز منهم من يواجه جالوت ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

ولو استعرضنا سيرة الأنبياء عليهم السلام فسنجد أن النبوة قائمة على التنبؤ؛ أي العلم بأحداث المستقبل، ولا يوجد نبي بلا نبوة أو تنبؤ، بل جميعهم يخبرون عن نبوءاتهم والحوادث المستقبلية، **ويستبِقون الزمان بوضعهم الخطط والبرامج التي تحصن الناس من الفتن التي سوف تحدث لهم في المستقبل قبل أوانها** [١]، ورسول الله ﷺ قد سجل لنا من خلال الأحاديث الشريفة والروايات المنقولة الكثيرَ من الأحداث التي سوف تحدث في المستقبل منذ ذلك الحين، وبطبيعة الحال فتسديد الوحي وإعلامه للرسول ﷺ ببعض أحداث المستقبل لا يعني إلغاء بشريته في البناء والتخطيط المستقبليين كما أسلفنا.

إذن، فمحاولة قراءة عالم الغد ضمن حدود مستقبل قريب أو متوسط، ممكنة ومشروعة إذا ما استندت إلى قراءة دقيقة للسنن العامة، وإذا

---

(١) بعضها بإطلاع الله تعالى رسله على ما يشاء من الغيب، وبعضها باجتهاد الرسل.

ما اعتمدت قراءة علمية دقيقة لوقائع الحاضر واتجاهات حركته وموازين قواه [1]، ورجّح احتمالٌ أو أكثر من بين عدة احتمالات لنتائج التدافع في مختلف المجالات، لكن مع ذلك يجب أن يظل الحذر والتحوط مصاحبين لمخاطر القراءة المستقبلية أو لاستراتيجية نضعها للتأثير في المتغيرات الآتية، كما يجب قبل هذا أو ذاك ألا ننسى أن فوق كل ذي علم عليم، وأن فوق السنن واضعها ومدبر جريانها والمتحكم في تعرجاتها، فرياح التغيير سلبًا أو إيجابًا، قد تأتي من حيث لا نحتسب، وحسبنا أن نتذكر

---

(١) تأمل في بدايات سورة الروم في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الروم: ١ - ٤]، ثم في تجربته ﷺ الدعوية الأولى قبل الصدع بالدعوة في المرحلة السرية، مرحلة بناء القاعدة الصلبة للمجتمع المنتظر، وانظر كيف راعى الرسول ﷺ موازين القوى بين الفرس والروم. انظر: كيف ندعو الناس؟ محمد قطب، أعددته ونشرته ضمن سلسلة كتاب المحجة المغربية، رقم (٣)، (ص ٩٥).

دائمًا أن للعقل محدوديته، ولميزان التقدير اختلالاته، وأن الأعمار والأقدار بيد اللّه [١].

ويظل كل حديث عن الدور الحضاري للأمة في عالم الغد - مثله مثل كل مشروع للعمل أو كل استراتيجية يراد منهما أن يؤثرا في واقع الغد - ضربًا من ضروب التدخل في شؤون الغيب [٢]، يقول اللّه تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ

---

(١) في استشفاف عالم الغد: منير شفيق، من كتاب: في الدور الحضاري للأمة المسلمة في عالم الغد، تأليف مجموعة من الكتّاب، صدر عن وزارة الأوقاف القطرية.

(٢) هناك فرق شاسع بين (الغيب) والذي هو من علم علام الغيوب سبحانه وحده، وبين مفهوم (المستقبل) كما يوظفه الخبراء في مجال الدراسات المستقبلية. فمفهوم المستقبل حسب هؤلاء انعكاس على الزمن لآثار ونتائج أعمالنا أو عدم عملنا اليوم. وواضح من مضمونه ودلالته أن الأمر لا يتعلق لا بنبوءة ولا بكهانة (الحرب الحضارية الأولى: المهدي المنجرة، ص٢٧٣).

عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٩]، فالغد دائمًا في حكم الغيب، هذا من حيث المبدأ والأساس، وهذا ما يستدعي أن نكون شديدي الحذر والتحوط [١] عند ولوج هذا الطريق، ولكن الذي يسمح لنا بأن

---

(١) عن جابر بن عبد اللّٰه ﷺ قال: قال النبي ﷺ: « الحرب خدعة » أخرجه البخاري برقم (٣٠٣٠)، ومسلم برقم (٤٦٣٧). والخدعة بطبيعة الحال تتطلب تخطيطًا محكمًا ورؤية مستقبلية تحقق الأهداف دون الوقوع في خطر المواجهة المباشرة. فعن أبي إبراهيم عبد اللّٰه بن أبي أوفى ﷺ أن رسول اللّٰه ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو، انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام فيهم فقال: « يا أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا اللّٰه العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ». ثم قال النبي ﷺ: « اللّٰهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم » (متفق عليه)، مما يبرز القدرة النبوية الفائقة على صياغة فقه للتخطيط وفقه لـ (الحرب الذكية) سار عليه أصحابه من بعده. ومن فوائد الحديث في سياق موضوعنا:
١ - أن على المسلم خوض الحرب الجيدةِ له، الكاملةِ في مقصودها عبر المخادعة لا المواجهة، وذلك لخطر المواجهة، وحصول الظفر مع المخادعة بغير خطر. (فتح الباري لابن حجر: ٦/١٩١). =

يجترئ على التوقع المستقبلي أو استشفاف بعض ما سيحمله الغد إنما هي السنن التي وضعها عالِم الغيب تبارك وتعالى في الإنسان، وفي الآفاق، وفي الكون والمجتمعات... فما دام الحراك في المادة يتم عبر السنن التي وضعها اللّٰه فيها ولها، فهذا يعني

= ٢ - التحريض على أخذ الحذر في الحرب، والندب إلى خداع الكفار، وأن من لم يتيقظ لذلك - أي يجتهد في مخادعة الكفار - لم يأمن أن ينعكس الأمر عليه.

٣ - قال النووي: اتفقوا على جواز خداع الكفار في الحرب كيفما أمكن، إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يجوز، وقال ابن العربي: الخداع في الحرب يقع بالتعريض وبالكمين ونحو ذلك.

٤ - في الحديث الإشارة إلى استعمال الرأي في الحرب، بل الاحتياج إليه آكد من الشجاعة (والرأي كناية عن فقه التخطيط).

٥ - ذكر الواقدي أن أول ما قال النبي ﷺ « الحرب خدعة » في غزوة الخندق، وقد أشرت إليها في هامش سابق (شرح النووي على مسلم: ٢٧/٤)، (فتح الباري لابن حجر: ٣١/٩)، وبطبيعة الحال إن هذا الحذر والتحوط يحتاج إلى تخطيط ورسم استراتيجيات المعركة، وهو ما كان الرسول ﷺ يفعله في حياته الدعوية عامة وفي حروبه خاصة مثل: الخندق.

إمكان توقع الحراك القادم، بهذا القدر أو ذاك، وبإذن الله، من خلال معرفة السنن الحاكمة لهذا الحراك.

وما دامت ولادة الظواهر الجديدة أو المكونات الجديدة تتم عبر سنن تمسك بالأسباب والنتائج، فهذا يعني إمكان إعادة توليد الظاهرة أو مكونات محددة اعتمادًا على تلك السنن والأسباب والنتائج، أي تدخل في شؤون الغد، استنادًا إلى سنن الله ﷻ وتسليمًا لمشيئته أن يسمح بالتكرار للحراك أو الظاهرة، بالمعنيين الآلي البسيط أو المركب المعقد [1]، يقول الله ﷻ: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٦٢].

ولذلك، فإن التحكم في السنن الحاكمة في الحياة الإنسانية مسألة شديدة التعقيد، وأحيانًا تصل إلى حد بعيد المنال إلى ما يقرب من المحال،

---

(١) في استشفاف عالم الغد: منير شفيق، من كتاب: في الدور الحضاري للأمة المسلمة في عالم الغد: م س.

الأمر الذي يجعل التحكم بالحراك الإنساني أو حتى إجراء توقعات مستقبلية أمرين معقدين جدًّا يحفهما خطر الوقوع في الخطأ والزلل.

إذن، فالدروس كثيرة جدًّا من القراءة المستقبلية للقرآن الكريم والسنة النبوية، ولهذا حتى الفقهاء استخلصوا ما يمكن تسميته باعتبار المآل [١]، وإن كانوا قد بسطوا فيه في مجال سد الذرائع ولكنه مجال كبير جدًّا. فالأمة حينما تدرك ما معنى صياغة الغد ستعمل لكي تصوغ المستقبل [٢].

ثم إن « علم المستقبل » و « التخطيط » رغم ما يتصفان به من حداثة في الظهور ضمن علوم الإدارة المعاصرة، وتجدد مستمر لآلياتها، غير أن العمل على تطويرهما في العالم الإسلامي اليوم

---

(١) انظر في ذلك مثلًا: في المنهج التطبيقي للشريعة الإسلامية: عبد المجيد النجار، دار النشر الدولي بالرياض، (ص ٢٧، ٢٨).

(٢) من حوار أجريته مع خبير المستقبليات محمد بريش، (ص ١١).

يتوجب أن يكون محكومًا بالانتماء لدين أقر بنفعية كل العلوم ووجوب الأخذ بها، وجعلها وسائل لتحقيق المبتغى الأكبر وهو خلافة اللّه في الأرض وخدمتها، بالإضافة إلى حضورهما في الممارسة الإسلامية المعصومة التي جسدتها السنة النبوية والتاريخية على السواء كما أشرنا سابقًا.

فالرسول ﷺ كان يضع كل ذلك في الحسبان، وهو يضع اللبنات الأولى في بناء الصرح الحضاري للأمة المسلمة في عالم الغد، وبناء دورها في الشهادة على الناس والقيادة لهم وإلحاق الرحمة بهم، والمساهمة في معالجة أزمة الإنسانية في كل العصور، عبر بث قيم ثقافية جديدة تعالج الواقع من أوجاعه وعينها على المستقبل الواعد.

كان النبي ﷺ لا يلتفت إلى الوراء متقدمًا نحو الغد لقوله ﷺ: « **الإسلام يَجُبُّ ما قبله** »[1]، أي أن دخول المرء في الإسلام يضفي عليه خاصيتين:

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الصارم المسلول (١/ ١٦٠):=

الأولى: جَبُّ ما قام به الفرد من ذنوب أو معاصٍ قبل اعتناقه، فلا حاجة إلى الالتفات إليها إلا بقدر ما يحفز على استغلال الغد، **والثانية:** المسؤولية عن ما بقي، أي ضرورة عنايته بمستقبله والتطلع لآفاق غده [1]، إنها قيم جديدة تؤطرها ثقافة بانية تقوي

= إن الحربي إذا أسلم لم يؤخذ بشيء مما عمله في الجاهلية لا من حقوق اللّه ولا من حقوق العباد من غير خلاف نعلمه، لقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٨] ولقوله ﷺ: « الإسلام يَجُبُّ ما قبله » رواه مسلم، ولقوله ﷺ: « من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية » متفق عليه. ولهذا أسلم خلق كثير كانوا قد قتلوا رجالًا معروفين في أقوامهم، فلم يطلب أحد منهم بقود ولا دية ولا كفارة. فقد أسلم وحشي قاتل حمزة وابن العاص قاتل ابن قوقل وعقبة ابن الحارث قاتل خبيب بن عدي ومن لا يحصى ممن ثبت في الصحيح أنه أسلم وقد علم أنه قتل رجلًا بعينه من المسلمين فلم يوجب النبي ﷺ على أحد منهم قصاصًا بل قال ﷺ: « يضحك اللّه تعالى إلى رجلين يقتل أحدهما صاحبه كلاهما يدخل الجنة، يقتل هذا في سبيل اللّه فيدخل الجنة، ثم يتوب اللّه على القاتل فيسلم، ويقتل في سبيل اللّه ويدخل الجنة » متفق عليه. =

شبكة علاقات المجتمع النبوي الجديد، إنها قيم ثقافية توجه المسلم إلى الفكر العلمي والإبداع والابتكار والتخطيط المستقبلي، فلا يمكنك - في أي زمان - شراء ولا نقل المخرجات، دون أن تتوافر لديك المدْخَلات الثقافية التي تمكِّن من الفهم والهضم والإضافة في القيم الذاتية للمنقولات، وإلا فلن تشتري إلا لعبًا.

فتلاحم العلم والثقافة سنة من سنن الكون الإلهية، وتأثير كل منهما في حاضر الآخر ومستقبله عامل أساسي في تطور الحياة البشرية، وأي استشراف لمستقبل الثقافة لا يمكنه أن يتم بشكل موضوعي وعملي إلا إذا كان يوازيه ويصاحبه استشراف لمستقبل العلم والثقافة [١].

=الحرب الحضارية الأولى: المهدي المنجرة، (ص ٢٧٥).

(١) انصهار العلم والثقافة مفتاح القرن الواحد والعشرين: المهدي المنجرة، مجلة المستقبل العربي، (ع ٥١)، (١٩٩٠م)، (ص ٧٦).

المَبْحَثُ الثَّاني

في التصحيح القرآني والنبوي لمفهوم التوكل والخوف من المستقبل

يخاف الإنسان في أحيان كثيرة ما يخبئ له القدر، فتراه يخاف المستقبل ويخشاه، هذا الخوف من المستقبل ينبع من عدم الثقة بقدرة اللّٰه الغيبية التي تستطيع أن تغيّر الأحداث، وتمحو المستقبل لتستبدله بواقع جديد، وينبع من عدم الثقة بالقدرة البشرية المستثمِرة للسنن الإلهية في بناء المستقبل، ومن ذلك أنَّ المفهوم القرآني لطبيعة الحياة الإنسانية، يستند على حقيقة أنَّ الذي يتقي اللّٰه سبحانه، يفتح له آفاقًا ممتدة في مستقبل حياته، ومن يتوكل على اللّٰه، فإنَّ اللّٰه سيكفيه مؤونة الحياة، وفي هذا المعنى يقول القرآن الكريم: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى

ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، ويقول تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٢٣].

إنَّ القلق النفسي والاضطراب الروحي الذي تعيشه البشرية « المتحدرة » اليوم، إنَّما مردُّه ضعف العامل الإيماني في نفس الإنسان، فالإنسان المؤمن يتوكل على اللّٰه سبحانه في أعماله، وفي حركاته، فتطمئنُّ روحه؛ لأنه يؤمن أنَّ عليه أن يسعى ويجدّ، وما وراء ذلك فهو على اللّٰه سبحانه ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾... فالتوكل على اللّٰه سبحانه أفضل وسيلة لمعالجة الأمراض بيد اللّٰه ﷻ: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ [الواقعة: ٦٠]، وإنَّ الرزق بيده ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [الروم: ٤٠].

إذن فالتوكل على اللّٰه سبحانه ضمان أكيد

لسكينة النفس واطمئنانها لخطوط المستقبل (١)

---

(١) في هذا السياق نلتقط بعض لحظات سمو الاطمئنان النبوي للمستقبل، وهو ﷺ في أقسى لحظات الكرب البشري: (وقد أُثِرَ عنه الدعاء الخالد في الموضوع: « اللَّهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين. أنت رب المستضعفين، وأنت ربي. إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، غير أنّ عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل علي غضبك أو أن ينزل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك »):

١ - عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « إن اللَّه زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها - أو قال: من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا » أخرجه مسلم، حديث رقم (٢٨٨٩). =

الآتية بلا ريب، إنها الفلسفة القرآنية التي كانت تؤطر مسيرة الحركة النبوية منذ انطلاقها بمكة ومرحلة الاستضعاف وتَغَوُّل الحركة الشركية

= ٢ - أورد ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/٥٨١)، ترجمة (٩١٦) والحافظ ابن حجر في الإصابة (٣/٤١) ترجمة (٣١١٧) تعليقًا عن سفيان بن عيينة عن أبي موسى عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال لسراقة بن مالك: « كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟ » قال: فلما أتى عمر بسواري كسرى منطقته وتاجه، دعا سراقةَ بنَ مالك فألبسه إياهما، وكان سراقة رجلًا أزب كثير شعر الساعدين، وقال له: ارفع يديك، فقال: الله أكبر الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز الذي كان يقول: أنا رب الناس، وألبسهما سراقة بن مالك بن جعشم أعرابي رجل من بني مدلج. ورفع بها عمر صوته.

٣ - يقول الرسول ﷺ: « لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش... »، وهناك حديث آخر في فتح المدينة: فقد روى مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: « سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر ». قالوا: نعم يا رسول الله!... الحديث، وفيه: « فيفرج لهم فيدخلوها فيغنموا... ».

والنفاقية [١]، إلى المرحلة المدنية وبناء الدولة وانكسار شوكة الكفر.

* * *
* *
*

(١) انظر: الحركة النفاقية في القرآن والسيرة النبوية: صلاح عوض محمد، سلسلة رسائل البعث الحضاري، المركز القومي للإنتاج الإعلامي (السودان).

الفَصلُ الثَالِثُ

منهج التخطيط النبوي المستقبلي من خلال السنة النبوية

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول:

منهج التخطيط في الدعوة النبوية

المبحث الثاني:

توجيه العملية الإصلاحية المستشرفة

من صميم التخطيط النبوي الراشد

المبحث الثالث:

أثر التخطيط النبوي في بناء

المجتمع الإسلامي الأول

تمهيد

في ظل واقع البشرية الخطير - اليوم - الذي سيمتد في مستقبل الحضارة البشرية في القرن الواحد والعشرين، نطرح السؤال: كيف يسهم المنهج النبوي في حل الإشكال العالمي المستقبلي؟ أو ما هو الإسهام الذي سيقدمه المنهج النبوي في مجال البناء الحضاري المستقبلي؟

إن الإجابة عن هذا السؤال جديرة بأن تخصص لها ندوات وإصدارات متعددة، وحسبي هنا أن أقف عند عتبات « حل الإشكال الإسلامي المستقبلي » [١] - باعتباره مدخلًا أساسيًا لحل

(١) صناعة المستقبل هي صناعة الزمن القادم، وهذا الزمن جزء من التاريخ وحركته التي تشد الأبعاد الثلاثة للزمن ببعضها: الماضي والحاضر والمستقبل... وكل منها يؤثر في الآخر ويتفاعل معه ويتكئ عليه بصورة من الصور... وإذا كان الماضي والحاضر هما جزأي التاريخ المحسوسين من خلال النقل =

الإشكال العالمي المستقبلي - من خلال بعض عطاء السنة النبوية المتدفق.

إن الاستيعاب الذي يفقه الواقع ويخطط للمستقبل قد أنجزته (السيرة النبوية) من قبل [١]

= أو المعايشة، فإن المستقبل هو الجزء غير المرئي ولكنه موجود وَحَيّ بكل المعايير. فالتقدير الإلهي هو الإطار الذي يستوعب كل حركة المستقبل بأدق تفاصيلها، وإن كانت مغيبة عن عين الإنسان. صناعة المستقبل: مدخل نظري إلى منهجية المستقبلية الإسلامية، علي المؤمن، مجلة المستقبلية (ع ٢) (٢٠٠١م)، (ص٥)، فلقد كان الرسول ﷺ يتحسس حركة المستقبل ويستشعر آثارها، فيتدخل بإرادته البشرية وإرادة صحابته للتأثير فيها بالمقدار الذي يستوعب قابلية الإنسان واستطاعاته واستعداداته وقدراته على استثمار السنن الإلهية المبثوثة في الزمن والمكان والإنسان محور حركة التاريخ برمتها.

(١) كان رسول الله ﷺ مهمومًا بما تقتضيه متطلبات مستقبل رسالته والعراقيل التي تعترضها، لذلك كان دائم الحرص على التخطيط من خلال مناهج أصيلة تفرزها طبيعة كل مرحلة دعوية يراد استقبالها وتشوف حاجاتها بنظرة موضوعية شمولية تنطوي على استيعاب الحاجات الجديدة والمنتظرة، بعيدًا عن الانفعال والتجزيء والإفراط والتفريط، مع أخذ المتغيرات

بشكل غير مسبوق وغير ملحوق. وهنا الأهمية القصوى في مجال دراسة المنهج النبوي كمركب حضاري أسهم من قبل في بناء حضارة التوازن الفطري من خلال التفاعل بين الوحي المعصوم - قرآنًا وسنة - وبين حاجة الخلق، والغاية من وجودهم الأرضي (الاستخلافي الحضاري).

= الكمية والنوعية - سواء داخل الصف الإسلامي أو المعسكر المناوئ - والمتغيرات الزمانية والمكانية، بعين الاعتبار؛ إذ كان ﷺ يستطلع المعطيات الواقعية ويستشرف طبيعة العناصر المشكلة لها، وكأنه ﷺ كان يطرح السؤال الدعوي الخالد: في أي زمن ستعيش الدعوة؟ إذ في الإجابة عنه تكمن عملية الاستشراف المستقبلي. وسؤال: كيف ستعيش الدعوة وتستمر؟

وبطبيعة الحال هذا يستلزم ألوانًا من التخطيط الحضاري الذي يؤسس لغد الدعوة وامتداداتها العقدية والثقافية والاجتماعية والسياسية. لذلك فإن حضور (المستقبل) في السيرة النبوية لم يكن عبورًا على الزمن ولا تجاوزًا للحاضر، وإنما كان وعيًا راشدًا بقضايا البناء الحضاري المستقبلي، وصناعة للواقع المنظور بعين الرسول الإنسان المسدد بالوحي.

والمنهج النبوي ليس فقط خطابًا أخلاقيًا [١] بل هو حركة وعي بنائية متطلعة: عقلية ومنهجية وروحية وسلوكية، حركة تسهم في تركيب وبناء وتخطيط مستقبلات الحضارة الإسلامية، انطلاقًا من تركيب إنسان وثقافة ومجتمع وأمة، في ضوء مذهبية توحيدية إلهية المصدر، ومن أجل غاية شاءت إرادة اللّه أن تكون لصالح الإنسان في حياته الدنيا والآخرة [٢] على حد سواء.

وفيما يلي معالم منهج التخطيط الدعوي النبوي:

---

(١) يقول الرسول ﷺ: « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »، صححه العلامة الشيخ الألباني رحمه الله كما في الصحيحة: (١/ ٤٥).

(٢) المنهج النبوي والتغيير الحضاري، (ص٨٣)، بتصرف.

ٱلْمَبْحَثُ ٱلْأَوَّلُ

منهج التخطيط في الدعوة النبوية

إن تدبر السنن الربانية المستوحاة من دعوة الرسل لأقوامهم لمن الواجبات التي ينبغي لنا أن نلم بها لنستفيد منها في تفسير الأحداث والمواقف والنوازل الحادثة والتخطيط لتوجيه مستقبلاتها بما يخدم فقه التحضر الإسلامي المستقبلي؛ إذ في معرفة هذه السنن معرفة بأسباب النصر والتمكين، وأسباب الهزيمة والخسران، وفي الغفلة عنها إعراض عن هدي الأنبياء، الذين ساروا في ضوء السنن الربانية. قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

ٱلْمَطْلَبُ ٱلْأَوَّلُ

لمحة عن (فلسفة الفقه السنني)

من خلال التفكر في سيرة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تنجلي أمامنا مجموعة من السنن الثابتة التي لا بد من فقهها حتى تكون عملية التخطيط المستقبلي راشدة، من بينها:

- الفوز للمتقين والهلاك للمكذبين المعاندين:
والشواهد على هذه السنة كثيرة؛ فمن ذلك قوله تعالى عقب قصة نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩].

- أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم:
وهذه السنة من السنن الخالدة التي يتحمل الإنسان في ضوئها مسؤوليته، فمن الإنسان يبدأ التغيير وهو هدف التغيير ووسيلته ومحوره، سواء أكان التغيير إصلاحيًا أم إفساديًا: قال تعالى:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢]، إنها أم السنن الربانية في البناء الحضاري التداولي.

- **الابتلاء سنة جارية للمؤمنين؛** لقوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ١ - ٣]، وحكمة هذا الابتلاء عظيمة، وفوائده في التربية والتمحيص وتمييز الصفوف جليلة، وعلى هذه السنة ينبغي أن توطن النفوس، مع سؤال الله ﷻ العافية والثبات، دون التخلي عن إعمال الجهد البشري.

- **سُنة المداولة بين الناس:** قال تعالى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

– **سُنة انهيار الأمم الظالمة:** قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤].

– **سُنة الإملاء** [1]: قال اللّه تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

– **سُنة التدافع بين الحق والباطل:** في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ

---

(١) الإملاء: لغة: هو الإمهال والتأخير، وإطالة الوقت حتى يتسع الزمن للتمتع بالشيء المحبوب. واصطلاحًا: تصوير اللفظ بحروف هجائه بأن يطابق المكتوب المنطوق في ذوات الحروف، وتراعى في ذلك القواعد الخاصة التي استمدت من الرسم العثماني للمصحف، ومن علمي النحو والصرف ضبطًا وصحة وإعلالًا وإبدالًا وتأصيلًا. ثم إن الإملال والإملاء شيء واحد، صيغتان جاء بهما القرآن.

لَفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

فلا جرم أن يكون فقه القواعد الثابتة والسنن المستمرة من فقه الدين، وأن رعايتها حفظٌ للدين؛ لأنها أساس الاستبصار [١] في إقامة نظام العمران وصلاح أحوال المعاش، ومحك أفعال البشر في بيان صوابها أو خطئها؛ **إذ كان الرسول ﷺ وهو ينظر إلى المستقبل يُعلم أصحابه أن الذين يطمعون في الإصلاح ودرء الفساد عن الأمة بدون فقه للسنن الإلهية التي بثها الله في الاجتماع الإنساني؛ إنما يتنكبون منهج الأنبياء في الصلاح والإصلاح.**

وعليه، **فإن (فقه السنن) دعامة أساسية** ومركزية لـ **(فقه التخطيط المستقبلي) لغد إسلامي**

---

(١) لذلك قامت الحاجة إلى هذا النوع من العلوم، وصار من أوجب الواجبات العنايةُ بتدوينه وبإيضاح قواعده للناس ليحصل لهم ما أمر الله به من النظر والتدبر، والاعتبار والتبصر، ولنا في رسول الله أسوة حسنة في هذا المجال.

أفضل يستمد رشده الحضاري [١] **من السنة وعطاء السيرة النبوية العطرة** موضوع حديثنا في هذه المداخلة المتواضعة.

فكما استفادت الدعوة النبوية من فقه السنن، يجب علينا اليوم - في إطار التأسي - الاستمداد الواعي الراشد من الثوابت السننية المؤطرة للحركة الحضارية الإسلامية المستقبلية.

* * *
* *
*

(١) للمزيد: انظر كتابنا (أحاديث في الرشد الحضاري)، فاس، المغرب، (ص٢/١١).

المطلب الثاني

بناء القاعدة الصلبة (١) وتأهيل القيادة الراشدة

كما اهتمت الدعوة النبوية بفقه السنن الإلهية في التخطيط المستقبلي، اهتمت كذلك ببناء إنسان الاستخلاف المستقبلي؛ إذ إننا عندما نتأمل الجهد النبوي الرسالي، نجد الرسول ﷺ قد وفر الجو الملائم لبناء الإنسان الخليفة (والداعية، والعالم، والمبلِّغ، والعسكري، والسياسي، والمجاهد، والقاضي، والتاجر، والفيلسوف، والطبيب، والجمهور المسلم الواعي) الذي يدافع عن الإسلام، ويذود عنه في ساعات الخطر الداهم، كما كان الحال في حروب الردة التي نهض بها الخليفة الأول أبو بكر الصديق، وفي الهجمة التتارية على العالم الإسلامي.

وهذا الإنسان المنسجم مع الخطاب الإلهي،

---

(١) كيف ندعو الناس؟ محمد قطب، (ص١١١).

هو الذي بنى المجتمع الإسلامي العادل... وشيَّد ثقافته الحضارية التوحيدية، كانت عينه ﷺ على إنسان الاستخلاف لبناء صرح الخلافة الأبدية القادمة، فانطلق ﷺ من بناء القاعدة الصلبة التي ستوضع على كاهلها أثقال وأعباء البناء الحضاري القادم، ليصوغ إنسان النظرية الاستخلافية التي تتطابق فيها حركة الإنسان مع مقتضيات الخطاب الإلهي، حركة يمارس الإنسان من خلالها وظائفه الاستخلافية الأساسية في: العبادة، والإعمار، وتوفير الوسط الذي ستترعرع فيه تعاليم الإسلام وتشريعاته، ويسمو فيه الإنسان، ليكون مؤهلًا لممارسة واجبه في القيادة الحضارية المستقبلية.

فإنسان الاستخلاف الذي شاده النبي عليه الصلاة والسلام، هو الذي دفع بمشروع الإسلام إلى عالم الحضارة الحقيقية أكثر من عشرة قرون كاملة... أسهم خلالها في إثراء مسيرة الإنسانية بالعلم، والمنجزات الحضارية المتنوعة، التي

ساعدت في وقت لاحق، الكثير من الأمم لتعيد بناء ذاتها الحضارية، مثل الأمة المسيحية.

فإنسان الاستخلاف المستقبلي الذي نشأ على عين الرسول ﷺ هو الذي دفع بالمجتمع الإسلامي الوليد إلى عالم (الابتغاء الحضاري)، وعندما توقفت رسالة هذا الإنسان، ولم تستطع الأجيال المتعاقبة تجديد العهد بهذه النوعية من البشرية الراقية، نزل المجتمع إلى مستوى دون المستوى الأول... وتغير الإنسان غير الإنسان الأول، وجاء (إنسان التولي الحضاري) الذي فتح عهد (التخلف الحضاري) في المجتمع الإسلامي [١] الذي وصل اليوم مرحلة (الوهن [٢] الحضاري).

---

(١) المنهج النبوي والتغيير الحضاري، (ص١٤٢، ١٤٣)، بتصرف.

(٢) وهو نتيجة لمعنى (الوهن) في المفهوم النبوي: « حب الدنيا وكراهية الموت » وقد تمت الإشارة له سابقًا.

المَطْلَبُ الثَّالِثُ

البناء المنهجي للفكر الفردي والجماعي

يعد المنهج إحدى ركائز التخطيط المستقبلي كما قلنا، وهو عماد أي حركة إصلاحية متطلعة نحو المستقبل، ومن ذلك البناءُ المنهجيٌّ للفكر الذي يتيح الفقهَ المستوعب، واستخراجَ القوانين والسنن، وإدراكَ النظام الفكري الذي رفد الانطلاقة النبوية الراشدة التي استدعت فهمًا مستوعِبًا لحركة الإسلام وهو ينشر قيمه الحضارية في الواقع، فأقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته وشمائله وفضائله وأخلاقه، هي القواعد التي عليها بني المجتمع الإسلامي، وعضد ذلك بوضع مخططات التغيير، وبرامجه، ومناهجه، وكيفياته، وموجباته، وسهر على البناء حتى وصل به إلى المرحلة التي أكمل فيها (مهمة البلاغ المبين) التي أمره بها الخالق ﷻ ...

ومهمة البلاغ المبين على الصعيد العملي، هي التي أنتجت الحضارة الإسلامية لاحقًا، وأدخلت

القبائل العربية الجاهلية إلى مرحلة التفاعل مع القضايا الحضارية الكبرى التي كانت تدور على محوري فارس، وروما. فالمبلغون الأوائل - وهم يستوعبون فلسفة النظرة النبوية المستقبلية تحت قيادة الرسول ﷺ - هم المؤسسون (لعلم الدعوة الحضارية العالمية) على الصعيدين النظري والعملي... وبطبيعة الحال تكون دراسة الحضارة الإسلامية الأولى هي دراسة في صميم الجهد النبوي، وفي منهجيته في البلاغ، والتخطيط الدعوي للتغيير الحضاري.

فالدارسون لجهد الرسول ﷺ الثاوي في كل جانب من جوانب الحضارة الإسلامية، يجب أن يلاحظوا بأن الجهد الذي بذل في البناء المنهجي للفكر على مستوى الفرد والجماعة كان نتاجًا طبيعيًا **لتفاعل عناصر أساسية لا يمكن أن نفهمها إلا من خلال صورة متكاملة العناصر، وهي:**

- عنصر الوحي الأعلى (قرآنًا وسنة) بما فيه

الرؤية، والمنهاج، والمشروع الإسلامي.

– وعنصر الواقع الجاهلي، في معناه الشمولي المتضمن لحضارتي فارس والروم.

– والجهد النبوي، في منهجيته، ومقاصده، ووسائله، وأساليبه، وتخطيطاته ورؤاه المستقبلية [١].

– وجهد الصحابة، على اعتبار كونهم الجماعة المؤسسة الأولى [٢] (القاعدة الصلبة).

وإذا كانت عملية التعامل مع الوحي، تتم عن طريق مفتاح السنة النبوية المطهرة... فالتلازم بين البناء الفكري والحضاري، والسنة النبوية المطهرة، على جميع المستويات تلازم أولي؛ إذ لا يمكن الحديث عن إحداث تغيير اجتماعي في واقع الناس النفسي والاجتماعي، بمعزل عن السنة

---

(١) المنهج النبوي والتغيير الحضاري، (ص٤٣، ٤٤).

(٢) انظر في ذلك: معالم في الطريق، سيد قطب، فصل (جيل قرآني فريد).

النبوية المطهرة (المفتاح)... كما أن الحديث عن السنة النبوية سيبقى نظريًّا، وجذبيًّا فرديًّا ما لم يتحول إلى قوة دايناميية فكرية ومنهجية، تحرك طاقات المجتمع كلها نحو المستقبل، وتوجهها لممارسة عمليات البناء الحضاري المستقبلي المرتبط بالأفكار لا الأشخاص والأبطال؛ إذ إن (البطل) وحده لا يستطيع دائمًا أن يصنع التاريخ، وكذا النخبة والمجتمع والفكر والقوانين الاجتماعية والتاريخية، ولا التاريخ هو صيرورة حتمية تتفاعل ذاتيًّا لتجنب نتائج قصرية وجبرية. فلكل هذه العناصر وغيرها حجمها الطبيعي... البطل (القائد)، والنخبة (الصفوة)، والمجتمع (الأمة)، والفكرة (العقيدة)، والقوانين التاريخية والاجتماعية (السنن الإلهية)، والحتميات التاريخية (الوعود الإلهية) كلها عناصر فاعلة تكمل بعضها بعضًا، وتسهم معًا بنسب معينة في تحريك التاريخ.

وهذه العناصر هي في الواقع مصاديق للسنن

الإلهية [1] في التخطيط والبناء المستقبلي، وهذا ما كان في عمق انشغالات الحركة النبوية وهي تسعى لوضع قواعد لـ (مجتمع العالمين)، وذلك ما وعاه الرسول ﷺ وهو يخطط لتأسيس أول أمة موحدة خاتمة على مر التاريخ البشري، وذلك ما عكسته تفاصيل سنته العطرة.

* * *
* *
*

(١) صناعة المستقبل: مدخل نظري إلى منهجية المستقبلية الإسلامية، علي المؤمن، مجلة المستقبلية، (ع٢)، (ص١٤).

اَلمَبْحَثُ الثَّانِي

توجيه العملية الإصلاحية المستشرِفة من صميم التخطيط النبوي الراشد

إن الفعل النبوي كان على وعي تام بأن كل عمل إصلاحي مستشرف للغد المنظور المنشود، لا بد له من فلسفة إصلاحية تقوم بتركيب عناصر الاجتماع البشري الجاهلي، لتنتج منها وحدة تاريخية تمثل في جوهرها (المجتمع الإسلامي الوليد)، الذي سيسعى إلى تحقيق رسالة الإسلام، في ظرف زمني معين، استجابة لمذهبية كونية توحيدية.

فانطلاق أي تغيير اجتماعي، مشروط ببعض الموجبات الأساسية، التي تمثل في جوهرها (تحديًا) واقعيًا لحركة التغيير، وعلى رأسها (القيادة الإصلاحية) التي تحمل (هَمّ) توجيه العملية الإصلاحية، بكل ما تحمله هذه المهمة من

صعوبات، وابتلاءات [1] متنوعة المصادر، ومختلفة الأشكال، ومتباينة الشدة والقوة. فالعملية تستدعي وعيًا معينًا، نطلق عليه تسمية (الوعي الانطلاقي) الذي يحتاج إلى نظرية في (التوجيه الانطلاقي) وأعني به جملة الأفكار والأعمال، والإجراءات، والخطوات المتعلقة بالإجابة عن هذه التساؤلات: ما مضمون النموذج الجديد الذي ننتمي إليه؟ وماذا نريد من خلاله؟ وكيف نحقق ما نريده؟ وما هي الوسائل المطلوبة لذلك؟ وكيف نتعامل مع الوضع القائم، الذي نريد تغييره؟ وبأي منهجية نعالج قضاياه؟

فهذه المجموعة من الاستفسارات، بحاجة إلى مخطط، وبرنامج يحدد كل عنصر من عناصرها، ويقدم له الإجابات النظرية، والعملية الكفيلة بحل

---

(١) لتلمس مجمل هذه الابتلاءات يمكن الرجوع إلى سور ثلاث: محمد، التوبة، المنافقون، وخلاصتها:
السعيُ إلى النيل منه ﷺ بالتسقيط والطعن، والتخطيطُ لقتله، وإيذاؤُه في عرضه، والطعنُ في أمانته، وإيذاؤه في أهل بيته.

إشكالاته، وتحقيق متطلباته [١]، وذلك ما استجابت له الحركة النبوية وهي تفتح عينيها على الأفق المنظور لأمة الشهادة المستقبلية.

إن تنظيم المجتمع وحياته وحركته بل فوضاه وخموده وركوده، كل هذه الأمور ذات علاقة وظيفية بنظام الأفكار [٢] المنتشرة في ذلك المجتمع، فإذا ما تغير هذا النظام فإن جميع الخصائص

---

(١) المنهج النبوي والتغيير الحضاري، (ص١٠٥).

(٢) انظر: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر.

ويركز هذا الكتاب على ثلاثة مفاهيم رئيسية (الأفكار – الأشخاص – الأشياء) وكيف يتدرج فيها الطفل من عالم الأشياء إلى عالم الأشخاص ثم عالم الأفكار وكذلك الأمم والحضارات... كما يرسم خطًا بيانيًا لمسيرة الأمم في تدرجها الحضاري المستقبلي. ويقسمها إلى مراحل: ما قبل الحضارة، ثم مرحلة الحضارة، ثم ما بعد الحضارة. ويقرر أن ما بعد الحضارة هو كما قبلها بل ربما أسوأ، وهو حال الأمة الإسلامية اليوم، ومن سمات هذه المرحلة تركزها حول الأشياء والأشخاص وهي مبتعدة تمامًا عن الأفكار.

الاجتماعية الأخرى تتعدل في الاتجاه نفسه.

إن الأفكار تكون في مجموعها جزءًا هامًّا من أدوات التطور في مجتمع معين. فإذا ما كانت إحدى المراحل تطبق على ما يسمى بالنهضة، فإن معنى هذا أن المجتمع في هذه المرحلة يتمتع بنظام رائع من الأفكار، وإن هذا النظام يتيح لكل مشكلة من مشاكله الحيوية حلًّا مناسبًا [1]، وذلك ما فعله النبي ﷺ في مخططه الاستعجالي الإنقاذي، الذي كانت أولوياته التخطيط لنشر فكرة التوحيد التي ستهز أركان الشرك وتزلزل الأرض تحت أقدام دعاته، مما ساعد على حراك اجتماعي وعقيدي، وأسهم في توجيه العملية الإصلاحية نحو أفق جديد ونقل المجتمع من التيه إلى الرشاد [2]، ستتبين ملامحه بعد حين من

---

(١) مشكلة الثقافة: مالك بن نبي، دار الفكر بيروت، (ص١٣).

(٢) انظر: بين الرشاد والتيه: مالك بن نبي، دار الفكر بيروت، فهو بحث لطيف في تحليل التحولات الاجتماعية.

خلال سقوط القناع عن الحركتين الشركية والنفاقية، لينتقل التوجيه النبوي إلى (المحافظة) على ما حققته الحركة الإصلاحية من منجزات على مختلف الأصعدة، ومنها (التحدي الاستيعابي) للمنتسبين الجدد للدعوة، وما يتطلب ذلك من خطط جديدة تراعي المتغيرات الجديدة على مستوى الكم والكيف عبر (التوجيه الاستمراري) الذي يهدف إلى دفع الحركة لتستمر في خط سيرها الأصيل (نحو المستقبل)، ثم التفكير في مناهج، وكيفيات، ووسائل توريث الرسالة الإصلاحية النبوية بين الأجيال المختلفة، لتواصل الحركة فعلها التغييري دونما انقطاع وتمرد على الأصول ودون تخلف الوعي التغييري عن هموم المجتمع، ومتطلبات المرحلة، وضرورات الزمان والمكان... إلخ.

فكل هذه الأنواع من التوجيه كان النبي ﷺ على وعي تام بها، مما مكنه من خوض معركة البناء والتغيير بكفاءة عالية لا نظير لها في التاريخ البشري،

جعلته يتبوأ صدارة المؤثرين في تاريخ البشرية بشهادة فلاسفة الغرب والشرق على حد سواء.

فالتوجيه إذن مشكلة من المشكلات الأساسية في أي عمل تغييري، عمل الرسول ﷺ على بلورتها في أشكال تنظيمية ورؤى تخطيطية تربط الوعي الانطلاقي بحركة الأمة المستقبلية.

لذلك، فإن تغيير واقعنا اليوم - ونحن نتأسى بمنهج التخطيط النبوي - يتطلب استراتيجية للإصلاح محكمة المضمون، واقعية التحليل، عميقة التصور والاستنباط، تصاحبها دراسة استشرافية دقيقة وبعيدة المدى، وتطوير للبنيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية المشكلة للوعاء الذي سيفرغ فيه مضمون تلك الاستراتيجية، والمكونة للنسيج الذي ستنجز على بساطه برامجها وتحقق عليه أهدافها.

فما من دراسة جادة أنجزت لصياغة استراتيجية سليمة للثقافة في مجتمع ما أو أمة ما، إلا وكان

مشروطًا لتنفيذها وتعميق أثرها وجود مناخ مُبلوِر ومحرك للأفكار والتصورات التي تتضمنها وتوصي بها تلك الاستراتيجيات والتشوفات؛ إذ لا يهدف الاستشراف إلى التكهن بتفاصيل أحداث المستقبل للأفراد أو حتى للمجتمع أو للإنسانية جمعاء. فهذا مجال للتنجيم وقراءة الكف والخرافة على أنواعها. الاستشراف، في محتواه العلمي، هو مهارة عملية تنطوي على استقراء التوجهات العامة في حياة البشرية، التي تؤثر، بطريقة أو بأخرى، في مسيرات الأفراد والمجتمعات.

ومن هنا كان استشراف المستقبل هو النظر إلى الزمن القادم ببصر حديد ونظر ثاقب، بغية تصور الواقع المقبل انطلاقًا من شرفة الواقع الحاضر، واستيعاب عبر الواقع الراحل. وما يزيد تأكيدًا على ذلك من إعداد للمستقبل [١]، هو قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا

(١) تعميق الفهم في الفكر الاستراتيجي، (ص٩٩).

قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨] التي سبقت الإشارة إليه في فقرة سابقة.

وقد علَّمنا الرسول ﷺ أن استقراء من هذا القبيل، يسهل على الفرد والمجتمعات والأمم التهيؤ بشكل أفضل لما سيأتي، واتخاذ القرارات التي قد تجعل من المستقبل المتوقع زمنًا أفضل. وإذا كنا غير قادرين على توقع القادم من الأحداث، فإن ما يمكن أن نستقرئه من مجريات الحياة البشرية، يدعونا إلى القيام بما نستطيع إعدادًا لما سيأتي. وجاء في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [الرعد: ١١].

وهذه دعوة صريحة وواضحة للقيام بالخطوات الضرورية لنغير ما بأنفسنا لنصبح أقدر على مواجهة المستقبل، وننتقل من استراتيجية الاستقالة الحضارية التي تعكس حالة الجحود والجمود إلى استراتيجية التجنيد الحضاري التي تنبع من حالة الاعتزاز والاستمداد من المرجعية الجامعة والمعصومة، وهي

الاستراتيجية التي جند فيها الرسول ﷺ - عبر تخطيط محكم - جميع الضمائر الواعية في المجتمع الجاهلي للتمكن من الوصول إلى مستوى حضاري نوعي، وإلى المشاركة الفعلية للفرد والجماعة في صياغة مفردات الحياة الجديدة، والتأثير إيجابًا على تطوير وإصلاح مجتمعه، بشكل يجعل من تقلبات ذلك المجتمع ومخاضه ظاهرة طبيعية توظف لصالح تطوير المجتمع، وليست هوسًا يشلّ فعالياته ويحدّ من طاقاته.

فمثل تلك الاستراتيجية مكّن الرسول ﷺ من تطوير ثقافة تسمح بالانتقال من مجتمع أغلبية جاهلية إلى مجتمع ذي أغلبية مؤمنة فاعلة، استراتيجية تسمح بالانتقال من مجتمع سلطة عشائرية وثنية إلى مجتمع سلطة واعية جمعية مؤمنة.

هذه الاستراتيجية اليوم لا بد من أن تكون لها أهداف عامة وتفصيلية، ولها خصائص تميزها، وأمامها عقبات وعوائق يلزم أن تتخطاها لتصنع

أو تسهم في صنع المستقبل المرغوب فيه للأمة الإسلامية. أما أهدافها العامة، فهي تتمحور أساسًا حول بناء الذات الإسلامية، فردًا ومجتمعًا، وإصلاح مناهج الفكر (١)، وبناء النسق الثقافي التوحيدي الجديد الذي يهضم معطيات الواقع ويستلهم إيجابياته، لتمكين الأمة من الشهود الحضاري، وتبوّء المكانة اللائقة بها: خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

وتحقيق تلك الأهداف يفترض، في ميدان علوم المستقبل، دراسة مشاهد مستقبلية مشروطة بتحقيق تلك الأهداف، ثم القيام بالتحليل العكسي لكيفية بلوغها إلى أن نصل إلى الواقع المشهود. وهذا اقتضى من الرسول ﷺ الانطلاق من تحليل الواقع الثقافي الجاهلي، وتحديد جميع الفاعليات المؤثرة، قرارًا ومشاركة، لمعرفة الجينات

---

(١) للتوسع في ذلك انظر: إصلاح الفكر، طه جابر العلواني، سلسلة إسلامية المعرفة (١٠)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

الكامنة في الحاضر، والمشكِّلة للمستقبل، والتي ساعدته على بلورة مخططاته واستراتيجياته الدفاعية تارة والهجومية تارة أخرى.

* * *
* *
*

المَبْحَثُ الثَّالِثُ

أثر التخطيط النبوي
في بناء المجتمع الإسلامي الأول

المَطْلَبُ الأَوَّلُ

بناء المسجد النبوي محضن
الدولة والمجتمع

إن المسجد - برلمان الشعب - مركز الدعوة النبوية، ومظهر من مظاهر الألفة والانسجام بين الناس، وفضاء توحيدي يذيب الحدود والفواصل والطبقات بينهم، والمسارعة إلى بنائه من قِبَل الرسول ﷺ ينِمُّ عن بُعد النظر النبوي الحكيم في إرساء أول قاعدة في التخطيط الاستراتيجي المستقبلي، وهي إيجاد المحضن الذي تتخلق فيه الخطط والترتيبات المؤسسة لمستقبل الدعوة الإسلامية، إذ:

- فيه مورست الشورى في أمور (العسكرية الإسلامية)، ورسمت الخطط وجُيِّشت الجيوش وابتعثت السرايا.

- وفيه وُضعت الخطط الاقتصادية لتنمية الحالة الاجتماعية الإسلامية الجديدة، وبُنيت الهياكل الإدارية لذلك، فعُين المحتسبون وقابضو الخراج والزكوات، وموزعو الأموال رعايةً للفقراء والأيتام وعائلات الشهداء و... رعايةً شاملة.

- وفيه كانت الخطط السياسية تنسج على هدي من المرجعية الجديدة المعصومة: فعلى المستوى الداخلي وضعت خطط ضبط العلاقات السياسية والاجتماعية [1] بين مختلف مكونات (المجتمع المديني) من يهود ونصارى وغيرهم. وعلى المستوى الخارجي رسمت خطط السياسة الخارجية

---

(١) من خلال الصحيفة التي سأقف عندها وقفة خاصة لسابقتها في تاريخ التخطيط السياسي والاجتماعي والدستوري، ولأهميتها في التخطيط المستقبلي النبوي لمجتمع المدينة.

التي تنظم العلاقات الإسلامية المستقبلية مع الدول الفاعلة آنذاك في محيط الدولة الوليدة، عبر ابتعاث السفراء وعقد المعاهدات واستقبال الوفود الخارجية...

- وفيه رسمت السياسة الثقافية التي تنتظم أفكار وقيم الدين الجديد في تلاقح وتواصل وتفاعل إيجابي [١] مع الثقافة الموجودة بما لا يمس عقيدة التوحيد الجديدة.

- وفيه، قبل ذلك كله، وضعت خطط التوعية الدينية ترشيدًا وتصويبًا وبناء دعوة وعقيدة.

وباختصار، فإن المسجد - محضن التخطيطات الأولى - كان خلية الانطلاق التي صيغت على أرضيتها المبادئ الأولى للسياسة النبوية المستشرِفة لآفاق الدعوة لاحقًا في شتى المجالات.

---

(١) من ذلك ثناء النبي ﷺ على حلف الفضول الذي كان يشكل مؤسسة مهمة من مؤسسات المجتمع الجاهلي.

ٱلمَطۡلَبُ ٱلثَّانِي

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وتمتين شبكة العلاقات الاجتماعية

كانت هذه الخطوة لبنة ثانية أساسية في (الخطة النبوية المستشرفة)، فهي ستعمل على تمتين الجبهة الداخلية التي ستستوعب الخطط والترتيبات التي وضعتها (فلسفة المسجد) السابقة، وهذه الجبهة ستحمل هَمَّ تنفيذ هذه الخطط والترتيبات وتنشرها في الآفاق (الجغرافية) و (الزمانية) المستقبلية، حتى إننا نستطيع القول: إن الإسلام نجح في تجاوز حركة التنافس الحضاري على المستوى الثقافي والسياسي والاجتماعي، واستطاع مجتمعه الحضاري أن يكون مجتمعًا متنوعًا يضم إلى جانب المسلمين اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم..

بل إننا نستطيع التأكيد بأن أول مجتمع إسلامي، كان يمثل البذرة الأولى للدولة الإسلامية،

كان مجتمعًا متنوعًا يتحرك على أساس أسلوب المعاهدة بين أفراد المجتمع الذين يختلفون في خلفياتهم الدينية أو مرجعياتهم الفكرية. فقد عقد النبي ﷺ عندما جاء إلى المدينة معاهدة إلفة بين جميع أفراد المدينة من المهاجرين والأنصار من الأوس والخزرج، وضم اليهود آنذاك إلى هذه المعاهدة، فجعل حقوقهم كحقوق سائر أفراد المجتمع الإسلامي، وكانت تلك أول وثيقة حقوقية في المجتمع المتنوع، الذي يتكامل أفراده في القضايا المشتركة حتى مع اختلافهم في الدين والفكر؛ لأن القوة تكون بمجتمع الوحدة والتوحيد، ولأن دعوة وليدة لا يمكن أن تشق طريقها نحو المستقبل وهي معرقلة ومثقلة بالصراعات الداخلية والفرقة العرقية واللغوية واللونية والدينية...

المَطلَبُ الثَّالِثُ

وثيقة[1] المدينة (الدستور الإسلامي) هيكلة الذات وتنظيم العلاقات

لأهمية هذه الوثيقة في تأثيرها الإيجابي على مستقبل الدعوة الإسلامية، وفي نجاح المخططات النبوية لاحقًا، نقف عندها وقفات نتأمل من خلالها في البناء الاستراتيجي والمستقبلي الذي صاغ فلسفته النبي ﷺ وصحبه الكرام.

فلقد كتبت هذه الصحيفة في أعقاب مقتل الشاعر اليهودي كعب بن الأشرف الذي شبب بنساء المسلمين حتى آذاهم، كما آذى النبي الكريم بالهجاء، وركب إلى قريش فاستغواهم على رسول الله ﷺ حتى قال الرسول يومًا: « **من لكعب بن الأشرف فقد آذانا بالشعر وقوى المشركين**

---

(١) انظر نص الوثيقة في كتاب (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة) محمد حميد الله.

علينا ». فلما قُتل (فزعت اليهود ومن كان معهم من المشركين، فغدوا على رسول الله ﷺ حين أصبحوا فقالوا: إنه طرق صاحبنا الليلة وهو سيد من سادتنا فقتل، فذكر لهم رسول الله ﷺ الذي كان يقول أشعاره، ودعاهم إلى أن يكتب بينه وبينهم كتابًا، فكتب بينهم صحيفة، وكانت تلك الصحيفة بعده عند علي، أخرجه أبو داود)[١].

أ - قراءة رسالية:

إذا تأملنا نص الصحيفة نلاحظ - دون عناء - أنه يشكل (سبقًا) لافتًا في فن التخطيط والاستشراف وأن رسالته تؤطر الحقل الحقوقي والمدني للمجتمع الوليد، وأن الرسول ﷺ استهدف بها الوضع الحقوقي والعلاقات التنظيمية الإدارية والسياسية والاجتماعية للمسلمين كـ (أمة) مع بعضهم ومع غيرهم،

---

(١) سير أعلام النبلاء، السيرة النبوية، تحقيق بشار عواد معروف، (٣٨٩/١).

كما نلاحظ أن قواعد الخطاب الإسلامي تنطلق من قيمة من أهم القيم الإسلامية، ألا وهي الاعتراف بالآخر. والآخر هو في الأصل كلُّ ما سوى الذّات، فحينما بعث النبي ﷺ إلى الناس كافة، كانوا جميعًا يمثّلون الآخر بالنسبة إليه. فاعترف بهم لا اعتراف ازدراء واستعلاء، كما توحي بذلك مزدوجة « اليونان والبرابرة » أو « الرومان والبرابرة »، وإنما اعتراف تمايز وتكافؤ: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦] « **لليهود دينهم وللمسلمين دينهم** ».

وانطلق تعامله معهم من مبدأ أصيل كان يدعو به كلَّ يوم: « **وأشهد أن العباد كلُّهم إخوة...** »؛ لأنهم يشتركون جميعًا في أن لهم أبًا واحدًا، فهم كما يسميهم القرآن « بنو آدم »، وهم يشتركون جميعًا كذلك في أن لهم ربًّا واحدًا، وأنهم مهما اختلفوا فإن ربوبية الله تجمع بينهم: ﴿ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١٥]، وأنهم

سَواسية في التمتُّع بخيرات هذه الربوبية، لا تفرقة بينهم ولا تميز في أي أمر من الأمور التي تتعلق بربوبية الله ﷻ، كالماء والغذاء والرزق والعطاء والدواء والشفاء والإمداد بسائر أسباب الحياة ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٠] (١).

والصحيفة، بذلك، صيغة مبكرة ومتقدمة لإبرام المعاهدات والمواثيق الاجتماعية والدولية والتخطيط للعلاقة السوية مع الآخرين. ويأتي تعبير (أهل الصحيفة) ليحدد ماهية المنخرطين في هذه الصيغة وهم كلٌّ من قَبِل بنود الصحيفة سواء أكان من أهل المدينة أم من غيرها من الأقوام والفئات الاجتماعية والفكرية والسياسية والعقائدية، وسواء أكانوا من اليهود أم من العرب غير المسلمين، وهذا يكشف أن الصحيفة قد وضعت تنظيم علاقات

---

(١) خطاب الآخر في القرآن والسنّة: محمد هيثم الخياط، مجلة رسالة التقريب (ع ٥٤)، (٢٠٠٦م)، (ص٣٢).

الدولة والأمة فيما جاوز المدينة وليست خاصة بأهل المدينة وحدهم [١].

والصحيفة جاءت في هذه المرحلة المبكرة كإطار قانوني وحقوقي لتضفي على المجتمع الجديد نوعًا من الاستقرار السياسي والاجتماعي، لتوجه الرسول ﷺ للتخطيط لبناء الدولة وتقوية هياكلها الإدارية وأذرعها الاقتصادية وخطاباتها السياسية، لتيسير نشر الدعوة في آفاق أكثر رحابة، ثم لمزيد من ترسيخ العقيدة في النفوس بعد فترة غير يسيرة من الصراعات مع دوائر الكفر التي كانت تتربص بالجماعة المسلمة والحركة النبوية الجديدة الطموحة لإرساء فلسفة جديدة عن الحياة والكون والإنسان.

ففي دولة المدينة التي رأس حكومتها الرسول ﷺ نص (دستورها) - الصحيفة - على التعددية الدينية لرعية هذه الدولة الإسلامية الأولى، وعلى

---

(١) نظام الحكم والإدارة في الإسلام، محمد مهدي شمس الدين، (ص٥٣٢).

المساواة والعدل والإنصاف في حقوق المواطنة بين هذه الرعية المختلفة والمتعددة في الدين...

لقد حول الإسلام (القبائل) إلى لبنات في بناء (الأمة) الجديدة وجعل أبناء الشرائع الدينية المتعددة لبنات أصلية في بناء (الأمة) الواحدة، وفي رعية هذه الدولة الإسلامية الواحدة... حتى أن تاريخ الفكر الإسلامي لم يعرف مصطلح (الأقلية)، وإنما عرف (الأمة الواحدة) التي جعل الإسلام تنوعها واختلافها - في الشرائع الدينية، في الشعوب والقبائل، وفي الألوان والأجناس، وفي اللغات والأقوام، وفي المناهج والعادات والتقاليد والأعراف - سُنة من سنن اللّه التي لا تبديل لها ولا تحويل.

فنص (دستور) الدولة الإسلامية الأولى - الذي وضعه الرسول ﷺ عقب الهجرة إلى المدينة - على أن « **لليهود دينهم وللمسلمين دينهم... ومن تبعنا من يهود فإن لهم النصر والأسوة غير مظلومين**

ولا متناصر عليهم... وأن بطانة يهود ومواليهم كأنفسهم... وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة... وأن بينهم النصح والنصيحة والبر المحض من أهل هذه الصحيفة دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه».

وهكذا أسس هذا الدستور لِكامل المساواة في حقوق المواطنة وواجباتها على نحو غير مسبوق وغير ملحوق في الإطار غير الإسلامي... ويزيد من عظمة هذا الإنجاز لهذه التعددية وهذه المساواة، أنها لم تتم على أنقاض الأديان المختلفة، وفي ظل استبعاد هذه الأديان كما هو الحال مع حقوق المواطنة في الدولة العلمانية، وإنما هي تعددية ومساواة بين فرقاء يحتفظون بتنوعهم الديني واختلافاتهم العقائدية، كما أن هذه التعددية وهذه المساواة في حقوق المواطنة لم تتم

على أنقاض المرجعية الإسلامية، وبسبب استبعادها - كما يريد البعض اليوم - إنما الذي أنجزها هو الإسلام، والتي حكمتها هي المرجعية الإسلامية التي نص عليها هذا (الدستور) عندما قال: « **وأنه من كان من أهل هذه الصحيفة من حدث أو استجار فيخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ** »[1].

وتفيد دراسة نصوص الصحيفة أن (المواطنة) لا تساوق الانتماء الديني دائمًا بل يمكن أن تفترق عنه، حين يكون المجتمع السياسي مكونًا من فئات ذات انتماء ديني متنوع، فقد تتساوى (المواطنة) مع الانتماء الديني حين يكون المجتمع السياسي كله ذا انتماء ديني واحد، فيتحد في الخارج المعيش مفهوم (الأمة) مع مفهوم (الوطن) والدولة و (المواطنة)، وقد لا تتحد هذه المفاهيم، فتكون

(١) سماحة الإسلام: محمد عمارة، مجلة التسامح، (ع١) (ص٣٠، ٣١) بتصرف.

(أمتان - مثلًا - في الانتماء الديني) في وطن واحد، ومجتمع سياسي واحد ودولة واحدة.

ويمكن - كما يبدو من بعض نصوص الصحيفة - أن تتكون (أمة واحدة) بالمعنى السياسي التنظيمي تشكل مجتمعًا سياسيًّا واحدًا وهي مكونة من (أمتين) من حيث الانتماء الديني... [1].

ففي الفقرة الأولى عبرت الصحيفة عن المسلمين **« أنهم أمة واحدة من دون الناس »** والأمة هنا تقوم على اعتبار الانتماء الديني وحده.

وفي فقرة أخرى « وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، ولليهود دينهم وللمسلمين دينهم ».

وفي فقرات أخرى: « وأن ليهود بني النجار... بني الحارث... بني ساعدة... بني جشم... بني ثعلبة... بني الأوس، مثل ما ليهود بني عوف »، فأثبتت هذه الفقرات لجميع هذه العشائر من اليهود

---

(١) نظام الحكم.. محمد مهدي شمس الدين، (ص٥٣١).

أنهم (أمة مع المؤمنين)، ولا بد أن يكون المراد من (الأمة) هنا معنى غير التوحد في الانتماء الديني لوجود فقرة أخرى تصرح « **بأن لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم** » فيتعين أن يكون المراد بـ (الأمة) التوحد في الانتماء إلى المشروع السياسي والمجتمع السياسي والكيان السياسي والمكان السياسي (الدولة والأرض) وينشأ هذا الانتماء من الالتزام بالمشروع الحضاري والسياسي للمجتمع الجديد وتحمل الواجبات والمسؤوليات التي يفرضها هذا المشروع، والاستفادة من الحقوق التي يخولها، وبذلك يتحقق الانتماء وينشأ منه التلبس بمفهوم (المواطنة) وهو في المصطلح الإسلامي: الولاية، بمعنى المعاضدة والتناصر وحقوق المواطن [1].

ومن خلال ما سبق يتبين أن الرسول ﷺ خطط - بشكل لا نظير له على مر التاريخ - أن

(١) الإسلام والآخر في السنة المطهرة، (ص٣٤).

المجتمع السياسي الإسلامي المتنوع في الدولة الإسلامية يتمثل في نسيج فكري وعقدي ولغوي.. متنوع:

- مسلمون يشكلون الغالبية، وهم عصب الأمة (بالمعنى العقدي والديني)، في نسيج الدولة السياسي والتنظيمي.

- يهود، نصارى، مجوس أو غيرهم... ينتمون في الأساس إلى الأرض التي تقرر إنشاء الدولة عليها (المدينة).

كما يظهر أن الجهد النبوي التخطيطي المستقبلي توجه إلى هيكلة الذات الداخلية وتنظيم العلاقات الخارجية، فـ (الصحيفة) دستور وضعه الرسول ﷺ لجماعته في المدينة ليحدد لها نظام العمل في شؤون الجماعة الداخلية والخارجية... دستور كامل يبين الحدود الجغرافية لوطن الأمة « **جوف المدينة ومنازل القبائل وكل من لحق بنا وجاهد معنا** »، والمراد هنا منازل كل القبائل التي

تنضم إلى الأمة و « **تقر بما في الصحيفة** » أي توافق على ذلك الدستور، وقد اتسعت مساحة المدينة بذلك؛ لأن القبائل حولها أخذت تنضم إلى الأمة الإسلامية (١)، وكأني بملامح التأسيس الفيدرالي غير المسبوق للدولة بدأ مع هذه الصحيفة التي بموجبها تحددت واجبات وحقوق الموقعين عليها وضابطها العدل والبر والأمن على الأنفس والأموال والعقائد، تمتينًا للجبهة الداخلية « **ويد المؤمنين جميعًا على من ابتغى دسيعة (محض) فساد بينهم** »، لا بل الجماعة متعاونة لمساعدة المحتاج والمدين والمريض، وهي ملتزمة في حالتي الفداء أو الأسر، والأمة كتلة واحدة « **يد المسلمين واحدة** » لا تعقد صلحًا إلا باتفاق مع شركائها الذين يمثلون مجموعاتهم المرابطة في مواقعها على ثغور المدينة حصن السلطة المركزية،

---

(١) دراسات في السيرة النبوية: حسين مؤنس، الزهراء للإعلام العربي، (ص٥٥)، وفي ذلك تخطيط ذكي للتمدد الجغرافي وتوسيع دائرة الفكرة الإسلامية.

أليست هذه قمة العبقرية التخطيطية وحضور الجهد البشري في بناء الدولة النبوية الناشئة؟

ب - استنتاجات:

من خلال هذه الوقفات السريعة يظهر أن الصحيفة كانت إعلانًا عن قيام أول دولة قانونية في الأرض نظم بها الرسول ﷺ جميع شؤونها وخطط ورسم سياستها الداخلية والخارجية بصفته (الرئيس) الأعلى للدولة الناشئة، إنه دستور فريد لم تحلم به البشرية في عمرها الطويل إلى يومنا هذا، حيث تضمنت الكثير من القواعد والمبادئ الأساسية التي ما تزال البشرية تحوم حولها مثل: إباحة الحريات، والعقيدة والإقامة والتنقل ومزاولة الحرف دون تقييد ما دامت هذه الحريات لا تضر مصلحة المجموع، وتراعي المبادئ الأخلاقية في السلوك الفردي وفي العلاقات الاجتماعية، والصحيفة بذلك، أسست لوحدة الشعور

بالجماعة الإنسانية وحميمية العلاقات فيما بين أفرادها [١].

ومهما قيل عن ضعف سند الصحيفة، فإن الدراسة المقارنة بينها وبين كتاب أهل نجران والعهدة العمرية، تجزم بالصدق الداخلي لمتنها، وبصدورها عن رؤية إيمانية تخطيطية مستقبلية شاملة ترى إلى (الآخر) المختلف عقديًا أو دينيًا على أنه توسعة للذات وميدان لفضائلها ولما تتمتع به من (معروف وقسط وبر وتقوى وصدق)، وحسبك ذلك كله التماسًا لوحدة الشعور الإنساني في المجتمع الواحد أو تعزيزًا لوحدة الخلق على تنوع مللهم ونحلهم وألسنتهم، في مقابل وحدانية الخالق الذي شاء سبحانه أن يجعلهم شعوبًا وقبائل يلتقون على قاعدة التعارف الذي يتجاوز معرفة (الآخر) إلى (القسط

---

(١) الصحيفة: أنموذج من التسامح في الإسلام، إبراهيم العجلوني، التسامح، (ع ١)، (ص٥٠، ٥١).

بالمعروف) معه وإلى أن يكون (كالنفس غير مضار) وأن يكون البر المحض (هو ضابط العلاقة معه وميزانها)[١].

ومهما يكن، فإن هذه الوثيقة - وهي تنظم الحالة السياسية والاجتماعية في المدينة - كانت تضع الأسس المستقبلية والمبادئ العامة لأي تنظيم سياسي واجتماعي إسلامي مستقبلي منفتح على (الزمن)، وبناء منهج للاهتداء في أي تجربة لاحقة في المستقبل، وذلك ما نحن في حاجة إليه اليوم ونحن نعاني من حالة (الوهن) الشامل.

* * *
* *
*

---

(١) الصحيفة: أنموذج من التسامح في الإسلام، إبراهيم العجلوني، التسامح، (ع١) (ص٥٢).

ٱلْمَطْلَبُ ٱلرَّابِعُ

صناعة إنسان المنهجِ النبويِّ الاستخلافيِّ

إن المنهج النبوي وهو يتحرك لبناء المشروع القرآني، انطلاقًا مما سبق، لم يغفل عن التخطيط لبناء إنسان أَهْلٍ لحمل أعباء الاستخلاف في الأرض. فإنسان السُّنة النبوية، مسؤول في كل ساحة يوجد فيها: « **كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته** »[1]، **فهو الساعي في الأرض، والضارب في مناكبها مخططًا** ومستبصرًا. تجده هناك في ساحات الحضارة، يمارس مهمة (الاغتراف الواعي) من قيمها وأخلاقها وعلومها ومدنيتها لغده مبتعدًا عن

(١) ونص الحديث: « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته » قال: وحسبت أن قد قال: « والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته ». رواه البخاري.

(التبطل)، لقوله ﷺ: « **لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها، فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه** » (١)، وقوله ﷺ: « **اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا** » (٢)، وقبل ذلك لقوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧]، **مطلق الإحسان، حتى في التفكير والتدبير والتخطيط...**،

---

(١) وفي رواية أخرى قال رسول الله ﷺ: « لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي الجبل فيجيء بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيستغني بها خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه »، رواه البخاري.

(٢) قال الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١/ ٦٣): لا أصل له وإن اشتهر على الألسنة. ونقول: مهما يكن الأمر، فإن متنه ينسجم وروح التصور الإسلامي في مسألتي (الاستعمار) و (الاستخلاف).

كل ذلك لغده الدنيوي المبني على الإيمان والمؤدي إلى غده الأخروي المؤدي للجنة وهي مستقر (الغد المطلق)، الغد الذي تعمل (فلسفة التخطيط المؤمنة) على تحقيقه، فهو الغد... الغد، للكيّس الفطن الذكي المتحرز الحذر الذي يمثل مع إخوانه عضوية متماسكة، وبناءً منسجمًا مرصوصًا يشكل عمادًا تتكئ عليه الحضارة الإسلامية في توجهها المستقبلي.

- ولنأخذ نموذجًا من النماذج البشرية، التي أخرجتها مؤسسات البناء الحضاري النبوي:

(أرسل سعد قبل القادسية، ربعي بن عامر رسولًا إلى رستم، قائد الجيوش الفارسية، وأميرهم، فدخل عليه، وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة، وزرابي الحرير، واللالئ الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه، وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب... ودخل ربعي بثياب صفيقة، وسيف، وترس، وفرس قصيرة، ولم يزل يركبها حتى داس بها على طرف البساط ثم نزل،

وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه، ودرعه... فقالوا له: ضع سلاحك، فقال: إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا، وإلا رجعت... فقال رستم: ائذنوا له. فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق، فخرق عامتها [١]، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: اللّٰه ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة اللّٰه، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام... فأرسلنا بدينه إلى خلقه، لندعوهم إليه، فمن قَبِل ذلك قَبِلنا منه، ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدًا، حتى نفضي إلى موعود [٢] اللّٰه. قالوا: وما موعود

---

(١) يعني: أنتم تريدون أن تذلوني بدنياكم، فهذه دنياكم، فأخذ الرمح وظل يمزق هذه النمارق والزرابي فخرق عامتها وأفسدها عليهم.

(٢) هذه العبارة تبرز أهمية المستقبل المنظور تحت الرعاية الإلهية واليقين في الغد الأفضل في كلتا الحالتين: الموت والجنة أو الظفر والنصر.

اللَّه؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي...

فقال رستم: قد سمعت مقالتكم، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال: نعم كم أحب إليكم، يومًا أو يومين؟ قال: لا، بل حتى نكاتب أهل رأينا، ورؤساء قومنا. فقال: ما سن لنا رسول اللَّه ﷺ أن نؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث بعد الأجل، فانظر في أمرك وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل.. فقال: أسيدهم أنت؟ قال: لا، ولكن المسلمون كالجسد الواحد، يجير أدناهم على أعلاهم.

فاجتمع رستم برؤساء قومه، فقال: هل رأيتم قط أعز، وأرجح من كلام هذا الرجل؟ فقالوا: معاذ اللَّه أن تميل إلى شيء من هذا، وتدع دينك إلى هذا الكلب، أما ترى إلى ثيابه؟ فقال: ويلكم لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي، والكلام، والسيرة، إن العرب يستخفون بالثياب

والمأكل، ويصونون الأحساب) [1].

لنتأمل بعمق هذا الكلام الرسالي، لهذا (الإنسان الجديد)، الذي هو منتوج من منتجات فلسفة التخطيط النبوي وخريج المدرسة النبوية المستشرفة، إنه يقدم لنا صورة لجندي بسيط في مؤسسات البناء الحضاري، وهو يؤدي واجبه اليومي في سياق تبليغ الإسلام للناس **موقنًا بغد الإسلام المشرق حتى يفضي إلى (موعود الله)**. إن هذا الإنسان يحمل في ذاته (المسوغات الكونية للإسلام) وهو يتحرك بقوة الروح، والعزيمة التي منحته إياها قيم هذا الدين وتعاليمه، وضماناته، ليحقق أهدافه في هذه الحياة والمتمثلة في: العبادة والإعمار، والإنقاذ، **وفي الحياة الآخرة الموعودة باعتبارها (المستقبل الحق) الذي يستأهل التخطيط، بل الريادة والإمامة في التخطيط.**

عندما نتأمل هذا الإنسان، وهو يمارس مهامه

---

(١) وردت قصة ربعي بن عامر (المشهورة) في مصادر متعددة منها: الإصابة في تمييز الصحابة، والبداية والنهاية...

الرسالية التي تحقق مستقبله الأخروي، نلاحظ:

أن هذا الإنسان قد أنهى تكوينه الحضاري الأساسي، **وهو يتخرج من:**

- مؤسسات الربط الحضاري، بالرؤية والرسالة الإسلامية، حيث وعى أهدافه، واقتنع بها... فهو في حالة ارتباط قوي برسالته، التي تتمثل في مشروع الإسلام عمومًا.

- ومؤسسات الوعي الحضاري للمشروع، فهو يتمتع بفقه محيط بأهداف الإسلام، وقيمه.

- ومؤسسات البناء الحضاري، والانخراط في الإنجاز للمشروع [1].

وفي ذلك دلالة على أن التخطيط النبوي في تدبير الموارد البشرية الرسالية قد أعطى أُكله وهو يخرج هذه النوعية الفريدة المؤمنة بأن المستقبل لهذا الدين، وهي تمارس عملية (الإنقاذ) في إطار

---

(١) المنهج النبوي والتغيير الحضاري، (ص١٤٦، ١٤٧).

منظومة الأهداف الحضارية الكبرى للإسلام.

لقد تخرجت أمثال هذه النماذج تحت الرعاية الخاصة للرسول ﷺ وفي الورشات الإسلامية للبناء الحضاري، المختصة في بناء القدرات الفهمية، والقدرات الروحية، والقدرات العملية، والقدرات الجهادية، والإعمارية، والإنقاذية.

ومن الوجهة التاريخية العامة، نلاحظ بأن العمليات الأولى لبناء (إنسان الاستخلاف المستقبلي)، هي المقدمة الأساسية لبناء (مجتمع الاستخلاف)، و (ثقافة الاستخلاف)، كقوى حضارية كبرى، بإمكانها تغيير مسيرة الإنسانية المستقبلية نحو الأفضل.

* * *
* *
*

خلاصة

في بعض نتائج البحث وتوصياته

إن سُنة رسول الله ﷺ قد وقعت العناية بها من العلماء، حفظًا بتدوينها وكتابتها، وصيانةً من الدس والتحريف بوضع قواعد الرواية وأصول قبول الحديث وردِّه بمنهج الجرح والتعديل، وفِقْهًا من الناحية التشريعية وبيان أحاديث الأحكام، إلا أن جانب الفقه الاجتماعي والتاريخي والكشف عن سنن اللَّه في البناء الحضاري والاستبصار المستقبلي، ظل ضامرًا في جلِّ مؤلفات شُرَّاح كتب السُّنة النبوية؛ ربما لأن بحث السنن لم يكن فكرة تشغل عقول السابقين بمثل ما هي مُلِحَّةٌ في هذا الزمان، مع العلم أن المسلمين آنئذ كانوا (يصنعون) حياتهم وفق سنن اللَّه تعالى، فكأنهم استغنوا بالعمل عن القول في هذا المجال.

إن هذا الأمر لم يُوَفَّ قدرَه من العناية والاهتمام، ولم يُعطَ حقَّهُ من البحث والدراسة والتأمل في القديم

والحديث، فكان ما كتبه العلماء والدارسون في ذلك قليلًا، مما يستوجب الاجتهاد في بيان السنن الإلهية والكشف عن معانيها وحقائقها، وإخراجها للناس علمًا وفقهًا وعملًا، ومن ذلك **فقه التخطيط واستبصار المستقبل انطلاقًا من فقه السنن الإلهية في القرآن الكريم ومن السُّنة النبوية العطرة.**

وعليه، فقد لزم أن يعلم المفكرون العرب أنه لا حق لهم في التشاؤم والاستسلام، بحجة أن العملاق الاقتصادي الإعلامي الذي يسكن العولمة هو السيد المطلق، وأن القزم الاقتصادي الإعلامي الذي يمثله مسلمو اليوم لا يمكن أن يكون إلا عبدًا مطلقًا، بل إن عليهم أن يعوا بحقيقة واجباتهم المستجدة في سياق هذا (التعولم) الجديد، بالبحث عن قيم أعلى من قيم العملاق الاقتصادي المادي [١]؛ إذ إن مهمة المفكر المستقبلي ستعظم

---

(١) حوارات من أجل المستقبل: طه عبد الرحمن، منشورات جريدة الزمن، (ع ١٣) أبريل (٢٠٠٠م)، (ص١٣٣، ١٣٤).

بالمسؤولية المنوطة به في قيادة الأُمة وستكون أهم بكثير من مهمة السياسي صاحب القرار، فلا يبقى إلا الفكر الاستراتيجي بمنهجه الإسلامي الذي يمكن أن يهيئ من الآن رؤية فكرية إسلامية ويضع لها أصولها ويبني مناهجها بما يجعل للأمة إسهامًا متميزا في الحراك الفكري المقبل.

ومن الخلاصات التي يمكن تسجيلها في نهاية هذا الجهد المتواضع:

- أن اهتمام الإسلام - باعتباره منهج حياة - بالفكر الاستراتيجي والدراسات المستقبلية نابع من عقيدته الراسخة وفكره المتطلع إلى مستقبل أفضل في الدنيا والآخرة، مركزًا على الزمن بأبعاده الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل.

- أن الرؤية المستقبلية للفكر الإسلامي تؤكد بشكل واقعي على أن مستقبل الأمم والحضارات خاضع لسنن كونية، وقوانين إلهية، لا تحابي أحدًا.

- أن مقاربة المستقبل بنظرة إسلامية حاجة

واقعية وضرورة حضارية، أمام تزايد النظريات الحديثة التي يغلب عليها طابع الصراع والصدام.

- أن **النهوض الحضاري** بالأمة الإسلامية في ضوء الفكر الاستراتيجي والتخطيط المستقبلي يجب أن يبنى على ثقافة إسلامية خالصة، تستمد قيمها ومفاهيمها من منطلقاتها الحضارية التي تخدم الحاضر والمستقبل، **ببلورة فكر إدارة وتخطيط إسلامي**، فكر معاصر يواجه كل التحديات السياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية والتربوية المستقبلية.

- أن المشروع الثقافي الإسلامي العالمي المستقبلي هو الذي يستوعب الماضي، استيعابًا يعي حركته التاريخية، والسنن المتحكمة فيه، وهو الذي يستقرئ الواقع استقراء شاملًا في فهم مشاكله الاجتماعية والتربوية والثقافية والبحث لها عن حلول واقعية، وهو الذي يستشرف المستقبل استشرافًا محكمًا بناء على معطيات واقعية واستنتاجات تاريخية وعمليات تبصر وتدبر

واستبصار في مختلف مجالات الحياة.

- أن مسيرة السيرة النبوية كلها، تحققت من خلال التعامل مع السنن الجارية، التي تقتضيها بشرية الرسول ﷺ، وتحتملها عزمات البشر، لتكون السيرة محلًّا للاقتداء وإعادة البناء للبشر في كل زمان ومكان، لذلك لا بد من أخذ هذا المنطلق بعين الاعتبار أثناء الاقتداء وكيفية الاقتداء، ذلك أن الاقتداء بالرسول ﷺ لا يعني العطالة عن العمل، والانسحاب من الحياة، وانطفاء الفاعلية، والتحول إلى الاستغاثة به، ولا يعني العدول عن السنن الجارية إلى طلب السنن الخارقة؛ لأن ذلك باب لإشاعة الخرافة والبدعة، وتغييب السنة، التي هي القانون الجاري.

ولعل من الأمور اللافتة للنظر حقًّا، تسمية طريقة الرسول ﷺ في التعامل مع الحياة والأحياء، سُنَّة، بكل ما تحمل هذه التسمية من دلالات في

المنهج والاطراد [1].

لذلك، أعتقد أن فكرة هذا الجهد جاءت لتفتح شهية النقاش في هذا الموضوع الجديد بالعناية في مختلف المؤسسات العلمية والتعليمية والإعلامية، حتى تؤسس لمرحلة جديدة في التعامل مع رصيدنا الإسلامي عمومًا والسنة النبوية خصوصًا.

ولأجل ذلك انبريت للبحث في هذا الموضوع من خلال سُنة رسول اللَّه ﷺ وسيرته، منطلقًا من البيان النبوي للقرآن الكريم، لاستنباط « فقه التخطيط النبوي المستقبلي »، مستحضرًا بعض آي القرآن الكريم؛ إذْ كان وما زال أصلَ كل فن من فنون العلم.

إنها محاولة متواضعة لإبصار بعض الملامح الغائبة في دراسة السيرة، فهي تفتح نافذة، وتحرّك العقل المسلم تجاه بعض الأبعاد المطلوبة لمواقع

---

(١) في السيرة النبوية.. قراءة لجوانب الحذر والحماية، (ص٣١).

الاقتداء والتأسي، وخاصة رصد الحس الاستشرافي المستقبلي المبني على التخطيط المنظم والاستبصار الواعي، وهو الموضوع الذي لم يحظ بدراسات تحليلية ومتعمقة بالقدر الكافي، ويحتاج إلى كثير من التأمل والتحليل، حتى تتشكل رؤية منهجية معرفية للاقتداء والتأسي، وخاصة المنهج الاستشرافي التخطيطي موضوع حديثنا هنا. وهي محاولة أتمنى أن تكون إحدى الإسهامات المتواضعة حتى تأخذ السيرة موقعها الصحيح من مستقبل التخطيط لمسيرة الدعوة والأمة والدولة في العالم الإسلامي اليوم؛ ذلك أن السيرة تجسيد عملي لقيم الإسلام في نماذج حياتية خالدة ومتنوعة، مجردة عن قيد الزمان والمكان، قادرة على استيعاب حركة الأمة وهدايتها، حتى نهاية التاريخ، وتوقف حركة الحياة.

ولعلي بهذا الجهد المتواضع أكونُ قد أسهمت بوضع لبنة في بناء صرح « فقه التخطيط النبوي

المستقبلي » من خلال « علم السنن الإلهية » وخاصة في سُنة رسول الله ﷺ.

وكلنا أمل أن نستيقظ لنصوغ فكرًا استراتيجيًا مستقبليًا محكم البنود مدقق العناصر اعتمادًا على المرجعية المعصومة عامة والسيرة النبوية خاصة في بعدها البشري التدبيري، بناء على أمرين مهمين:

- أن نعتقد في الله ما لا يعتقد غيرنا، ونرى أن العدد والعدة أسباب إذا لم يكن من ورائها جنود ربانيون فلا حظ لها من التمكين والاستخلاف.

- أن نرجو من الله ما لا يرجوه غيرنا، وأساس الرجاء الدعاء، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٧]، وهذا دليل على أننا مهما أبدعنا في التخطيط لتطوير مستقبل أمتنا، فحظنا هزيل بدون دعاء.

فاللَّهم وفقنا للقيام بمهمة الاستخلاف المستقبلية

على الوجه الذي يرضيك عنا، كما وفقت المعصوم وصحبه، وأعنا على التدبير فإننا لم نعد نحسن التدبير، وأنر بصائرنا وبصيرتنا بنورك حتى نتقن فن الاستبصار، ولا حول ولا قوة إلا بك.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

د. مُحَمّدَ ٱلبِنْعِيَادِي

عشية ٢٧ مايو
٢٠١٠م بفاس العالمة

* * *
* *
*

المَصَادِر وَالمَرَاجِع

- القرآن الكريم:

المصادر الحديثية:

- البخاري، مسلم، أبو داود.

المراجع:

- إصلاح الفكر، طه جابر العلواني، سلسلة إسلامية المعرفة (١٠)، (ط٣)، (١٩٩٥م)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

- أحاديث في الرشد الحضاري، محمد البنعيادي، فاس، المغرب.

- الإسلام والآخر في السنة المطهرة والتأصيل الفقهي، حسن السعيد، مجلة التوحيد (ع١١١).

- التقدم العلمي رهين بنجاح استراتيجية العمل الثقافي، محمد بريش، مجلة الهدى المغربية، (ع٣٢)، (١٩٩٥م).

- الحرب الحضارية الأولى، المهدي المنجرة، (ط٥) (١٩٩٤م)، عيون المغرب / الشهاب - الجزائر.

- الحركة النفاقية في القرآن والسيرة النبوية، صلاح عوض محمد، سلسلة رسائل البعث الحضاري، المركز القومي للإنتاج الإعلامي (السودان).

- الدراسات المستقبلية وخصائص المنهج الإسلامي، أحمد صدقي الدجاني، مجلة المستقبلية، (ع٢)، (١٤٢٢هـ).

- الصحيحة: (ج١) و (ج٢)، الشيخ ناصر الدين الألباني.

- الصحيفة: أنموذج من التسامح في الإسلام، إبراهيم العجلوني، التسامح، (ع١).

- المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير محمد الغضبان، مكتبة المنار الأردن الزرقاء (ط١)، (١٩٨٤م).

- المنهج النبوي والتغيير الحضاري، عبد العزيز برغوث، كتاب الأمة (٤٣)، رمضان (١٤١٥هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.

- الهوية من منظور إسلامي، مصطفى الحاج علي، مجلة المنطلق، (ع٩٩)، (١٤٣١هـ).

- انصهار العلم والثقافة مفتاح القرن الواحد والعشرين، المهدي المنجرة، مجلة المستقبل العربي، (ع٥١)، (١٩٩٠م).

- تعميق الفهم في الفكر الاستراتيجي، محمد بريش، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثالثة، (ع٩)، (١٩٩٧م). تصدر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي

- حوارات من أجل المستقبل، طه عبد الرحمن، منشورات جريدة الزمن، (ع١٣) أبريل (٢٠٠٠م).

- خطاب الآخر في القرآن والسنّة، محمد هيثم الخياط، مجلة رسالة التقريب (ع٥٤) (٢٠٠٦م).

- دراسات في السيرة النبوية، الزهراء للإعلام العربي، (ط ١٩٨٥م).

- دروس من سيرة الحبيب المصطفى ﷺ: المرحلة السرية وفقه اصطفاء الرجال، المفضل فلواتي، الطبعة الثانية، (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، مطبعة أنفو - برانت فاس.

- سماحة الإسلام، محمد عمارة، مجلة التسامح العمانية، (ع١) (٢٠٠٣م).

- سير أعلام النبلاء، السيرة النبوية (ج١)، تحقيق بشار عواد معروف.

- شروط النهضة، مالك بن نبي، بيروت، دار الفكر المعاصر، (ط٤)، (١٩٨٧م).

- صناعة المستقبل: مدخل نظري إلى منهجية المستقبلية الإسلامية، علي المؤمن، مجلة المستقبلية، (ع٢) (٢٠٠١م).

- في استشفاف عالم الغد، منير شفيق، من كتاب: في الدور الحضاري للأمة المسلمة في عالم الغد، صدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.

- في السيرة النبوية.. قراءة لجوانب الحذر والحماية، إبراهيم علي محمد أحمد، كتاب الأمة (٥٤)، رجب (١٤١٧هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.

- في المنهج التطبيقي للشريعة الإسلامية: عبد المجيد النجار، دار النشر الدولي بالرياض.

- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، لجمال الدين القاسمي رحمه الله.

- كيف ندعو الناس؟ تأليف: محمد قطب، أعده ونشره: محمد البنعيادي ضمن سلسلة كتاب المحجة المغربية، رقم (٣)، فاس.

- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، (٢٠٠٦م).

- مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، دار الفكر، بيروت، (ط٣) (١٩٨٧م).

- معالم في الطريق، سيد قطب، دار الثقافة، المغرب، (٢٠٠٨م).

- من أجل استعمال ملائم للدراسات المستقبلية، المهدي المنجرة، مجلة عالم الفكر، مجلد (١٨)، (ع١٤).

- من حوار أجريته مع خبير المستقبليات محمد بريش، جريدة المحجة المغربية (ع٢٠٠) (٢٠٠٣م).

- نحو دراسات مستقبلية إسلامية، زهير الأسدي، موقع مجلة كتابات.

- نظام الحكم والإدارة في الإسلام، محمد مهدي شمس الدين، (ط٢).

السيرة الذاتية للمؤلف

د. محمد البنعيادي

شهادات علمية:

- حاصل على دبلوم الدراسات العليا المعمقة (٢٠٠٥م).

- حاصل على شهادة الدكتوراه في مشاريع النهوض في الفكر الإسلامي المعاصر بميزة مشرف جدًّا مع التوصية بالطبع (٢٠٠٨م) وعنوانها فقه الاستغراب الإسلامي: مداخله - نماذجه - قضاياه (دراسة وتحليل).

- حاصل على شهادة دكتوراه ثانية في موضوع: فقه التواصل الحضاري من خلال المتن السفاري المغربي:

(رصد تحليلي لقضايا النهضة والتحديث في المغرب المعاصر والحديث) بميزة مشرف جدًّا (٢٠٠٩م).

أنشطة علمية وتعليمية:

- أستاذ متعاون بكلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة محمد الأول بوجدة (وحدة الماستر: النقد الأدبي العربي: المناهج والمصطلحات).

- أستاذ متعاون بكلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة سيدي محمد بن عبد الله / سايس بفاس (وحدة الماستر: الدراسات السامية ومقارنة الأديان).

- أستاذ متعاون بكلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة سيدي محمد بن عبد الله / سايس بفاس (وحدة الماستر: التاريخ الوسيط).

- أستاذ متعاون بكلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة سيدي محمد بن عبد الله / ظهر المهراز بفاس (شعبة الدراسات الإسلامية).

- شارك في العديد من الندوات والمحاضرات منظمًا ومعدًّا ومشاركًا.

- يشرف على مجموعة من البحوث لطلبة الماستر بكلية الآداب فاس / سايس والإجازة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس.

- عضو مختبر « حوار الحضارات » بكلية الآداب فاس / سايس.

أنشطة إعلامية وصحافية:

- رئيس تحرير جريدة المحجة (سابقًا لمدة ٧ سنوات).

- المدير المسئول المؤسس لمجلة الأصيلة (مجلة تعنى بقضايا الأسرة).

- المدير المسئول المؤسس لكتاب الأصيلة (سلسلة كتب في الثقافة الأسرية).

- عضو هيئة تحرير سلسلة كتاب النبراس / تصدر عن جمعية النبراس للثقافة والتنمية بوجدة.

- شارك في برامج إذاعية وتلفزية (إذاعتا فاس ووجدة وقناة محمد السادس للقرآن الكريم - السادسة).

- له العديد من المقالات والحوارات والمتابعات الثقافية والدراسات المنشورة في الصحف والمجلات والدوريات المغربية والعربية بلغت حوالي ٨٠ (ثمانين).

الإنتاجات العلمية المطبوعة:

- صورة المرأة في السينما المغربية (طبعة أولى فبراير سنة ٢٠٠٢م).

- في قضايا الإصلاح والنهوض الحضاري: الاختيار الثقافي في البناء السياسي (يناير٢٠٠٣م).

- أسئلة الفكر والمنهج والفعالية في تراث ابن نبي (يوليو ٢٠٠٥م).

- من ذكرياتي مع مالك بن نبي: محاورة فكرية مع الدكتور عبد السلام الهراس (نوفبر ٢٠٠٥م).

- مالك بن نبي: مفكر شاهد ومشروع متجدد (يونيو ٢٠٠٦م) - باشتراك مع مجموعة من الكتّاب.

- نحو فقه للاستغراب: مقاربة نظرية وتاريخية، منشورات سلسلة كتاب الأمة القطرية، رقم (١٣٢)، سنة (٢٠٠٩م).

- مالك بن نبي في ذاكرة عبد السلام الهراس (ديسمبر ٢٠٠٩م)، منشورات المجلة العربية، السعودية.

- أحاديث الرشد الحضاري: حوارات في الفكر والثقافة، (ط١)، (٢٠٠٩م).

- سؤال « التجديد » في الخطاب الإسلامي (وقفات تحليلية لسمات التفكير الإسلامي).

- الكلام الجديد: (حديث في تجديد البنى واللغة والمنهج...) (ط١) (٢٠٠٩م).

- أسلمة المعرفة: نحو صياغة متجددة لدعوات الإصلاح الإسلامي.

- فقه الاستغراب ورسالية التفاعل الحضاري (رصد تحليلي لعناصر التوتر وتجليات سوء الفهم المزدوج بين الإسلام والغرب).

- فقه الاستغراب الثقافي (دعوة للمثاقفة البانية وتجديد البحث النظري في حوار الحضارات والخطاب الاستغرابي المعاصر).

- حوار الحضارات (في فن المدافعة الناعمة) (من مفردات المونولوغ الحضاري إلى الحوار الاستخلافي التبادلي).

- فقه صناعة المستقبل (دراسة في مفهوم الزمن وشروط الشهادة المستقبلية).

- فضلًا عن قيامه بنشر العشرات من المقالات والدراسات والحوارات في الصحف والمجلات العربية في مجالات الفكر والثقافة والدعوة.

تحت الطبع:

- مقالات في البناء الحضاري.
- نحو قراءة حضارية ورسالية لمفاهيم إسلامية.
- مقالات في فقه الدعوة والحركة.

* * *
* *
*

رقم الإيداع
٢٠١١/٩٩٦٦
الترقيم الدولي I . S . B . N
978 - 977 - 5059 - 31 - 4

(من أجل تواصلٍ بنّاء بين الناشر والقارئ)

عزيزي القارئ الكريم . . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

نشكر لك اقتناءك كتابنا : « فقه التخطيط المستقبلي في السنة النبوية » ورغبة منا في تواصلٍ بنّاء بين الناشر والقارئ ، وباعتبار أن رأيك مهمٌّ بالنسبة لنا ، فيسعدنا أن ترسل إلينا دائمًا بملاحظاتك ؛ لكي ندفع بمسيرتنا سويًّا إلى الأمام .

*** فهيّا مارس دورك في توجيه دفة النشر باستيفائك للبيانات التالية :-**

الاسم كاملاً : .. .. **الوظيفة :** . ...

المؤهل الدراسي : .. .. **السن :** ... .. **الدولة :** . .. .

المدينة : . .... حي : .. شارع : . . .. ص.ب : ...

هاتف : ☐☐☐☐☐ / ☐☐☐☐☐☐☐ : e-mail

- من أين عرفت هذا الكتاب ؟

☐ أثناء زيارة المكتبة ☐ ترشيح من صديق ☐ مقرر ☐ إعلان ☐ معرض

. .. .

- من أين اشتريت الكتاب ؟

اسم المكتبة أو المعرض : . . المدينة . . العنوان .... .

....

- ما رأيك في أسلوب الكتاب ؟

☐ عادي ☐ جيد ☐ ممتاز (لطفًا وضح لِمَ) ....

. ...

- ما رأيك في إخراج الكتاب ؟

☐ عادي ☐ جيد ☐ متميز (لطفًا وضح لِمَ) ....

....

(من أجل تواصلٍ بنّاء بين الناشر والقارئ)

(من أجل تواصل بناء بين الناشر والقارئ)

- **ما رأيك في سعر الكتاب ؟** ☐ رخيص ☐ معقول ☐ مرتفع

(لطفًا اذكر سعر الشراء) .... العملة .. ....

- **هل صادفت أخطاء طبعية في أثناء قراءتك للكتاب ؟**

☐ لا يوجد ☐ نادرًا ☐ يوجد أخطاء طبعية

لطفًا حدد موضع الخطأ ....

عزيزي انطلاقًا من أن ملاحظاتك واقتراحاتك سبيلنا للتطوير وباعتبارك من قرائنا فنحن نرحب بملاحظاتك النافعة . . . فلا تتوانَ ودَوِّن ما يجول في خاطرك : -

دعوة : نحن نرحب بكل عمل جاد يخدم العربية وعلومها والتراث وما يتفرع منه ، والكتب المترجمة عن العربية للغات العالمية - الرئيسية منها خاصة - وكذلك كتب الأطفال .

عزيزي القارئ أعد إلينا هذا الحوار المكتوب على

e-mail:info@dar-alsalam.com

أو ص . ب ١٦١ الغورية - القاهرة - جمهورية مصر العربية

لنراسلك ونزودك ببيان الجديد من إصداراتنا

الكِتَابُ فِي سُطُورٍ

إن صناعة الغد صناعة ربانية، لها سنن ينبغي للإنسان أن يعرفها ويستجيب لشروطها، وقد كان الرسول ﷺ خيرَ فقيه لها وخيرَ مستجيب لها وخيرَ سائر على هداها. وقد سجَّلتْ لنا أحاديث رسول الله ﷺ الكثير من الأحداث التي تبرز تسديد الوحي وإعلامه له ببعض أحداث المستقبل، وأخرى تُظهر بشريته ﷺ في البناء والتخطيط المستقبليين؛ ولذلك حُقَّ لنا الدعوة إلى بلورة فقهٍ للتخطيط واستبصار المستقبل؛ انطلاقًا من فقه السنن الإلهية في القرآن الكريم ومن السنة النبوية العطرة؛ لذلك كان هذا الجهد المتواضع.

الناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.
هاتف: ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ - ...٩٣٢٨٢٠
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
الإسكندرية - هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ...٤
www.dar-alsalam.com info@dar-alsalam.com

ISBN: 978-977-505-931-4

